آراء خاطئة ...
وروايات باطلة ...

في سير الأنبياء والمرسلين
عليهم الصلاة والسلام

تأليف فضيلة الشيخ

عبدالعزيز بن محمد السدحان

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على أشرف أنبيائه ورُسُله، وعلى آله وصحبه، وأتباعهم بإحسان... أما بعد:

فإنّ قراءة سير الأنبياء والمُرسَلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من أعظم الزاد العلمي، فأولئك الكرام هم صفوة خلق الله، اختصَّهم الله بالنبوَّة والرِّسالة دون غيرهم عليهم الصلاة والسلام، وفي سِيَرهم وأخبارهم عِبَرٌ وعِظاتٌ وعجائبُ، ذلك لما اختصَّهم الله به من البلاغ.

ولَمَّا كان الأمرُ كذلك كثُر ذِكرُ ونقلُ أخبارهم في كتب التفاسير والتاريخ وغيرها، وفي تلك الأخبار الغَثُّ والسَّمين.

يُضاف إلى ذلك تلك المفاهيمُ الخاطئة التي تقع في أذهان بعض الناس عند قراءة بعض الآيات المتعلِّقة بالأنبياء ﷺ، وهذا قد حصل في الزمان الأول، فقد كان بعض التابعين يشكُون إلى عائشة ﵂ من سوء فهمهم لبعض الآيات فتوضِّحها لهم ﵂.

مثاله: ما جاء عن عروة بن الزُّبير أنه سأل عائشة عن المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[1]، فوضَّحتْ له القول الصحيح.

وجاء أيضًا أنّ مسلم بن يسار سأل سعيد بن جُبير عن قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا

(١) البقرة: ١٥٨.

ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ [(١)]، فلما بيَّن له سعيد معنى الآية قام إليه فاعتنقه وقال: فرَّج الله تعالى عنكَ كما فرَّجتَ عنِّي، أو كما جاء في الرواية.

ومن باب نشر الفائدة وترسيخها بالمراجعة والاستذكار والتحذير من الأخبار الضعيفة والباطلة رأيتُ أن يكون الموضوع بعنوان: «**آراء خاطئة وروايات باطلة في سير الأنبياء والمرسَلين**».

ومنهجي في هذه الرِّسالة أني أذكر ما أستطيع من أخبار الأنبياء بدءًا بآدمَ عليه وعليهم الصلاة والسلام، وعند ذِكر النبيِّ أو الرسول أحرص على إيراد ما اشتهر عند المفسِّرين في التفاسير التي نقرؤها ونسمعُها جميعًا من الرِّوايات التي لا تثبُت، ثم أبيِّن بُطلان تلك الرِّواية، وفي المقابل أذكر الوجهَ الصحيح في تفسير الآية أو الآيات، ثم أبيِّن كلام أهل العلم في سبب تخطئته مع بيان وجه الصواب حتى تكتمل الصورة من الجانبين.

وسأذكر مقدمةً لسبب ورود تلك الروايات في التفاسير، وفي المقابل سبب زَيغ الأفهام وتفسير بعض الآيات خلافَ ما ثبتَ في النصوص النبويَّة ـ على صاحبِها أتمُّ الصلاة والتسليم ـ حتى تكون تمهيدًا ومفتاحًا لما سيَرِدُ في ثنايا هذه الرِّسالة إن شاء الله تعالى.

ولا أدَّعي أنني سأُحيط بكل ما أورده المفسِّرون، وإنما أعمد إلى ما اشتهر، وقد يفوتُني أشياء كثيرة، لكن هذا جهد المُقِلّ، وسأسلك مسلك الاختصار؛ لأنّ طبيعة هذه الرِّسالة تقتضي ذلك، واللهَ أسألُ أن يجعل العلم والعمل خالصًا لوجهه الكريم.

---

(١) يوسف: ١١٠.

ومن باب «لا يشكرُ اللهَ من لا يشكرُ الناسَ» أشكُر الأخوين الفاضلين ـ الشيخ/ خالد بن عبدالعزيز الباتلي، والشيخ/ عبدالحميد بن محمد العرفج ـ على جهودهما في تفريغ الأشرطة وطباعة المادة العلمية، ومراجعة المطبوع على المخطوط. أسأل الله أن يُجريَ علينا جميعًا أجر القارئ والسامع الناشر، والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله السدحان

القسم الأول

ز

* مصطلح «الإسرائيليات»
* طرق تسرب الإسرائيليات إلى كتب التفسير
* أقسام الإسرائيليات:

أولاً: أقسام الإسرائيليات باعتبار صحة السند

ثانيًا: أقسام الإسرائيليات باعتبار موافقتها للشرع

ثالثًا: أقسام الإسرائيليات باعتبار موضوع الخبر

* سبب ورود الأحاديث الضعيفة والموضوعة
* من خصائص الأنبياء
* تنبيهات وفوائد متفرقة

مصطلح «الإسرائيليات»[١]

إنّ غالب ما انتقده أهل الحديث على روايات التفسير ما يُسمَّى بـ«الإسرائيليات»، وهذه الكلمة نسمعُها دائمًا وتتكرَّر على مسامعنا، لكن لعلّ بعضَنا قد يكون عنده قُصورٌ في فهمها أو في بعض معانيها، فيُقال:

«الإسرائيليات» كلمةٌ في باب الجمع، مفردُها «إسرائيلية»، وهذه التسمية تُنسَب إلى يعقوب ؛ ، ويعقوب هو إسرائيل، وقد ذكر ابنُ الجوزي أنه ليس هناك نبيٌّ له اسمان إلا يعقوب ؛ ، باستثناء نبيِّنا محمد ج فله أسماءٌ كثيرةٌ كما ثبت في السنة.

وهذا القول من ابن الجوزي ليس على إطلاقه، فقد ذكر بعضُ أهل العلم أنّ هناك أنبياء لهم أكثر من اسم، وأما كون إسرائيل هو يعقوب ؛ فهذا يحتاج إلى دليل، فما الدليل على ذلك؟

ذكر ابنُ كثير وغيره أنّ الدليل على أنّ يعقوب هو إسرائيل: ما رواه الإمام أبو داود الطيالسي في «مسنده»[٢] عن ابن عباس ب أنّ عُصبةً من اليهود جاؤوا إلى النبيِّ ج فقال: «**أتعلمون أنّ إسرائيل هو يعقوب؟**». قالوا: اللهمَّ نعم. فقال رسول الله ج: «**اللهمَّ فاشهد**»[٣].

---

(١) هذا المبحث مستفادٌ من كتاب «الإسرائيليات في التفسير والحديث»، تأليف: د. محمد السيد حسين الذهبي.

(٢) للفائدة: فقد ذكر الإمام العراقي ـ فيما نقله عنه السيوطي في «تدريب الراوي» ـ أنّ الإمام أبا داود الطيالسي لم يُصنِّف مسندًا، لكن أصحابه جمعوا ما رواه عنه راويتُه يوسف بن حبيب.

(٣) وهذا الحديث في إسناده رجُلٌ اسمه «شَهْر بن حَوْشَب» يَروي عن ابن عباس ب ، وشهر هذا متكلَّمٌ فيه، فبعض أهل العلم يجعل حديثه من مرتبة الحسن، وحكم الحافظ عليه في «التقريب» بأنه صدوقٌ كثيرُ الأوهام والإرسال، وأما الإمام مسلم فقد نقل في مقدمة «صحيحه» عن ابن عون أنه قال: إنّ شهرًا نزكوه، إنّ شهرًا نزكوه. =

وكلمة «إسرائيل» مركَّبة من شِقَّين. قال بعضهم: نصفُها عربيّ ونصفها عِبراني، فـ«إسرا» من الإسراء، وهو: الهجرة والذهاب. و«ئيل» معناها في العبرانية: الله لأ . وذكروا أنّ يعقوب ؛ هاجر وخرج فسُمِّي بـ«إسرائيل» أي: المهاجر إلى ربِّه لأ .

ومنهم من يقول: الكلمة كلها عبرانية ليس فيها شيءٌ عربي، فـ«إسرا» معناها: عبد. و«ئيل» معناها: الله. فتكون الكلمة: عبد الله.

ومصطلح «الإسرائيليات» يُطلَق على ما كان مصدرُه من الأخبار اليهودية، ثم توسَّع كثيرٌ من المفسِّرين فيه ـ ومن المحدِّثين ـ فأطلقوه على كلِّ خبر وردَ في التفاسير أو كتُب السِّيَر مما ليس له أصلٌ؛ من طعنٍ في الأنبياء، أو في مقام الذات الإلهية، أو في أمور يستحيل على العقل أن يُصدِّقها من المبالغات الخرافية في سرد بعض الرِّوايات، كما ورد في وصف سفينة نوح ؛ ، وفي وصف جُيوش سليمان ؛ ، وغير ذلك.

= وذكر صاحب «ترتيب القاموس» وغيره: أنّ النَّزك: هو الطعن والرمي بسوء، فتدلّ هذه العبارة على طعن فيه.

فمن حسَّن حديث شهر أو صحَّحه جعله في مرتبة الاحتجاج بهذا الحديث، ومن ردَّه فقد ردَّ هذا الحديث من هذا الطريق.

طرق تسرب الإسرائيليات
إلى كتب التفسير والحديث

الأسباب كثيرةٌ يمكن أن تُجمَل فيما يأتي:

١- **أنّ قومًا من اليهود كانوا يُقيمون في جزيرة العرب**: ومن المعلوم أنّ المخالطة والتداخل في العمل والسفر والاحتكاك بالمجتمع يكون فيه تبادُل للثقافات وللأخبار، فهذا يتلقف أخبار صاحبه، وذاك يتلقف ما يقول الآخر... وهكذا، فيترسَّخ في ذهن هذا ما حدَّثه به صاحبه، وفي المقابل يأخذ الآخر ممن أعطاه.

إذن؛ وجود أولئك الأقوام في الجزيرة من الأسباب الرئيسة التي جعلت تلك الأخبار تتلقفها الألسنة جيلًا بعد جيل، حتى أُدخِلت في كثير من التفاسير وغيرها.

٢- **قُدوم اليهود في التجارة إلى جزيرة العرب**: وهذا السبب وإن كان قريبًا من الأول، لكنه يتميَّز عنه بأنّ هؤلاء القوم وفدوا وأولئك القوم مستوطنون مع المسلمين في جزيرتهم.

٣- **هجرة بعض المسلمين إلى ديارهم**: في الشام وغيرها من باب التجارة وطلب الرِّزق، أو في الدخول في الحرب في الغزو، فتلك الهجرات والفتوحات أدخلت الاختلاط بين الأقوام، ومن ثَمَّ أصبح هناك تلقُّفٌ للأخبار وتدوينها، ومع مرور الزمن أصبحت راسخةً في أذهان كثيرٍ من الناس، بل حتى إنّ بعضهم يجعلها من المُسَلَّمات.

٤- **دخول بعض علماء اليهود في دين الإسلام**: مما كان له الأثرُ الكبير في نقل شيءٍ من تلك المعلومات، ولا شك أنّ العالِمِ إذا تكلم يكون لكلامه وَقْعٌ أكثر من غيره، فلو تكلم ألفُ عامِّي لا يكون لكلامهم وزنٌ بالنسبة لمن يسمعهم، أما إذا تكلم عالِمٍ فإنّ كلامه في مقام الاحتجاج، هذا في الغالب وهناك ضوابط.

٥- **شدّة ميل النفوس وشَغَفها إلى سماع ما يُستغرَب**: فإذا تكلم أحدُ الناس كلامًا غريبًا فيُلاحَظ أنّ السامعين يُنصِتون باهتمام، ويحاولون أن لا يفوتَهم أيُّ كلمة من كلام المتكلِّم؛ لأنّ الغَرابة في الخبر تجعلُ المرء يشتاق إلى سماع ما يقوله المتكلم.

فالشاهد: أنّ النفس تشتاق إلى سماع الغرائب، وهذا يجده كلٌّ منَّا في نفسه، فلو قال لك قائل: عندي لك خبرٌ غريبٌ، فإنك تستحِثُّه ألَّا يُؤَخِّرَه بل يقوله فورًا.

ومن هذه الأسباب ـ وغيرها ـ دخلت تلك الإسرائيليات لكتُب التفسير، خاصَّةً أنّ بعض المفسِّرين ليس له قدَمٌ في علم الحديث أو في علم الأسانيد، مما جعله يُكثِر من روايتِها.

أقسام الإسرائيليات

الإسرائيليات لها تقسيمات ثلاثة، كل تقسيم بحسب اعتبارٍ له:

أولاً- أقسام الإسرائيليات باعتبار صحة السند:

تنقسم الإسرائيليات باعتبار صحة السند إلى قسمين:

١- إسرائيليات صحيحة.

٢- إسرائيليات ضعيفة.

وهذا في الإجمال، وإلا فقد يأتي أشياء أسانيدُها باطلة ويُجزَم بأنها مُختلَقة، وهناك أشياء أقلّ نسبيًّا من هذا كما يُقال في تقسيم الحديث، فالضعيف يتفاوتُ كما أنّ الصحيح يتفاوتُ أيضًا.

مثال الصحيح: ما ذكرهُ ابنُ كثير في «تفسيره» عن ابن جرير قال: حدثنا المثنى، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا فليح، عن هلال بن علي، عن عطاء بن يسار قال: لقيتُ عبدالله بن عمرو فقُلت: أخبرني عن صفة رسول الله **ج** في التوراة. قال: أجل؛ والله إنه لموصوفٌ في التوراة كصفتِهِ في القرآن: (يا أيُّها النبيُّ إنا أرسلناك شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا وحِرْزًا للأمِّيِّين، أنتَ عبدي ورسولي، اسمُك المتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غَليظ، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملَّة العوجاء، بأن يقول: لا إله إلا الله، ويفتح الله به قُلوبًا غُلفًا وآذانًا صُمًّا وأعيُنًا عُميًا).

قال عطاء: ثم لقيتُ كعبًا فسألتُه عن ذلك فما اختلف حرفًا، إلَّا أنّ كعبًا قال بلغتهُ: قلوبًا غلوفيًا، وآذانًا صموميًا، وأعيُنًا عموميًا».

وأما مثال الضعيف: ما روي عن ابن عباس في تفسير سورة «ق» أنّ «قاف» جبلٌ عظيمٌ مُحيطٌ بالدنيا. هذا الكلام لا شَكَّ في بُطلانِه، وقد كذَّب نسبتَه إلى ابنِ عباس ب غيرُ واحدٍ من أهل العلم.

ثانيًا- أقسام الإسرائيليات باعتبار موافقتها للشرع:

تنقسمُ الإسرائيليات باعتبار موافقتها للشرع إلى ثلاثة أقسام:

١- قسمٌ يُقِرُّه شرعُنا. ٢- قسمٌ يَرُدُّه شرعُنا.

٣- قسمٌ في برزخ، لا يُردُّ ولا يُقبل بل يُذكر من باب الفائدة.

مثال ما يوافق شرعَنا: ما جاء في البخاري وغيره: أنّ النبيَّ ج قال: «**تكون الأرضُ خبزةً يوم القيامة يتكفَّؤُها الجبار كما يتكفَّؤ أحدُكم خُبزته**»، ثم ذكر أنّ الله يضعُ الأرض على أصبع، والسماوات على أصبع... إلى آخر الحديث، كان هناك حبرٌ من أحبار اليهود قال: يا أبا القاسم، ألا أخبرك كيف تكون الأرض يوم القيامة؟ قال: «بلى». فذكر الحبر كما ذكر النبيُّ ج، فتبسَّم النبيُّ ج حتى بدت نواجذُه. فكلام الحبر لم نقبله إلا بعد أن وافق شرعَنا.

أما ما يُخالفُه شرعُنا ويردُّه ويُبطِله فمثاله: ما جاء أنّ هارون × هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل، فهذا لا يُخالجُنا أدنى شكّ أو رَيب أن الخبر باطلٌ من أُسِّه؛ لأنّ الله ذكر في القرآن أنّ الذي صنع العجل هو السامري. قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى [(١)]، فتلك الرِّواية باطلة من أسِّها وأساسها.

---

(١) سورة طه: الآيتان ٩٥-٩٦.

أما ما يتوقَّف فيه ـ وهو الذي لم يأتِ شرعُنا بموافقته ولا بردِّه ـ فمثَّلوا له: بقصة القتيل التي ذَكر الله مجمَلَها في سورة البقرة.

ذَكَرت بعضُ الرِّوايات في سبب الميت الذي أُحيي بعدما أُخذ شيءٌ من البقرة وضُرب به، ذكروا أنّ رجُلًا من بني إسرائيل خطب ابنةَ عمِّه فأبى والدُها عليه، فقدم وفد تجَّار إلى مدينة هذا الرَّجُل، فأراد الرجل من عمِّه أن يذهب معه ليشتري شيئًا منهم، فذهب العمُّ مع ابن أخيه، وفي أثناء الطريق غدرَ الرَّجُل بعمِّه فقتله والقومُ قادمون لم يدروا بما حدث، فرجع الشابُّ إلى بلده ثم أخذ يسأل عن عمِّه كأنه لا يعرف مصيرَه، فخرج معه جماعةٌ من الناس يبحثون معه لعلهم أن يعثُروا على عمِّه فوجدوه قتيلًا، فصاح الشاب يندُب نفسه وينعي عمَّه.

وكان التجار قد وصلوا إلى مكان القتل فاتهمهم به، والشاهد: أنّ الشاب ورث عمَّه وأخذ دية عمِّه من القوم ثم عاد إلى ابنة عمِّه فتزوَّجها.

هذا مجمل الرِّواية، ولا نُصدِّق بها ولا نكذِّب، فقد تكون صوابًا وقد تكون غير ذلك، والعلم عند الله تعالى.

ثالثًا- أقسام الإسرائيليات باعتبار موضوع الخبر:

تنقسم الإسرائيليات باعتبار موضوع الخبر إلى ثلاثة أقسام:

١- **في العقائد،** ومثالها: ما ذُكِر سابقًا من قول الحبر: «إنّ الله يضع الأرض على أصبع، والسماوات على أصبع». فهذا الخبر في مجال المعتقَد.

٢- **في الأحكام،** ومثاله: ما جاء في خبر اليهوديين اللذين زنيا عندما وضع اليهوديُّ يده على مكان آية الرَّجم، فلما نزعها وإذا بالتوراة تنصُّ على رجم الزَّاني، فهذا النوع يكون داخلًا في أخبار الأحكام.

٣- **في المواعظ والسيَر والتاريخ**، ومثاله: ما ورد في أخبارهم من أوصاف سفينة نوح ؛ ، وما كان فيها من الحيوانات والطير، أو ما جاء في عصا موسى ؛ ، أو في نملة سليمان ؛ ، وما كان على هذه الشاكلة، فهذه الأخبار ليست داخلةً لا في باب المعتقَد ولا في باب الأحكام؛ فتكون داخلةً في القسم الثالث.

***

سبب ورود الأحاديث الضعيفة والموضوعة

الأسباب كثيرة، ويمكن إجمالُها في عشرة أسباب يدخُل تحتها أجزاء كثيرة:

١- أقوام قد وضعوا هذه الأحاديث من باب التعصُّب لمعتقَدهم: مثل الخطابية (طائفة تستحلّ الكذب). قال الشافعي: أقبلُ شهادةَ أهلِ الأهواء إلا ما كان من الخطابية. ومثل الرافضة الذين أفاضوا في الكذب على النبيِّ ج حتى قال الخليلي: وَضَعَتِ الرَّافضة في عليّ وآل عليّ أكثرَ من ثلاثمائة ألف حديث.

وكان بعضُ المحدِّثين يتوقّف فيما ورد في فضل عليّ ا ؛ لأنّ الغالب أنّ ما ورد في فضله ا من وضع الرَّافضة ومن كان على ضربهم. نعم؛ قد ثبت في السنَّة أحاديثُ كثيرةٌ في فضل عليّ ا ، لكن ينبغي أن يكون أحدُنا على حذَر إذا سمع حديثًا لم يُعزَ إلى مصدر موثوق.

٢- أقوامٌ قد وضعوا هذه الأحاديث يتزلفون بها إلى السلاطين والملوك والأمراء والخلفاء: فيُرضون شهوات الملوك والسلاطين بكذبهم على النبيِّ ج، وهنا أُحِبّ أن أُنبِّه على ما اشتهر من الخبر الذي فيه أنّ رجُلًا اسمه غياث بن إبراهيم دخل على المهدي العباسي وهو يلعبُ بالحَمام فحدَّثه هذا الكذاب بحديث قال فيه: «لا سبقَ إلا في خُفٍّ أو نَصْل أو حافر» ثم أضاف: «أو جناح» حتى يُرضي الخليفة ويجعل للُّعبة بالحَمام مسوِّغًا من الشرع، فأمرَ له المهدي بجائزة مالية، ثم لما ولَّى مُدبرًا قال المهدي: أَشهَد أنّ قفاك قفا كذاب! هذه القصة مشهورةٌ لكن الصحيح ـ إن شاء الله ـ أنها لا تصحُّ لا سندًا ولا متنًا ولو كثُر ناقِلوها وكثُر كاتبوها.

ومما يدُل على بُطلانِها متنًا: أنّ المهدي العباسي كان من مشاهير الخلفاء العباسيِّين، وقد وُضع في عهده ديوانٌ اسمه «ديوان الزنادقة»، ووضع هناك أعيُنًا تترقّب الزنادقة فتفتك بهم، ثم أيُعقَل أنّ خليفةً كالمهدي العباسي ومن كان على شاكلته يتفرَّغُ للَّعب بالحمام ذلك اللهو الذي لا يكون إلا لصغار الصِّبيان أو من أضاع وقتَه على حساب اللعب بهذا الصِّنف من الطُّيور؟!

ثم أيضًا: هذا ليس غريبًا فقد كُذِّب على خلفاء كثيرين من المسلمين، وليس هذا مجالَ ذِكر شيءٍ من ذلك، لكن هذه القصة لا تثبُت لا سندًا ولا متنًا.

٣- قومٌ يتكسَّبون ويسترزقون إما في تسويق حرفة أو تسويق بضاعة لهم: كما ورد عن بعضهم أنه قال: «عليكم بالعدس فقد أوصى به سبعون نبيًّا»! أو «عليكم بالهريسة فإنها تشُدُّ الظهر»! وهلمّ جرًّا من هذه الأحاديث التي ينفُر منها غيرُ طالب العلم فِطرةً فضلًا عن طالب العلم، فمثل هذه الأحاديث وضَعَها أولئك الأفَّاكون في سبيل ترويج بضاعتهم النتنة.

٤- قومٌ ابتُلوا بأولادهم أو بورَّاقيهم فأدخلوا عليهم في رواياتهم أحاديثَ ليست من روايتهم: ويدخل تحت هذا: الأحاديثُ الضعيفة، مثلًا: سفيان بن وكيع أبوه الإمام المشهور العَلَم وكيع بن الجرَّاح شيخ الإمام الشافعي وشيخ مشايخ الإمام أحمد، هذا الرَّجل ابتُلِي ابنُه سفيان بوَرَّاق يصل الأحاديث الموقوفة ويوقف المرفوعة، ويُدخِل في الأسانيد ما ليس منها، فنُصِح سفيان بأن يترك هذا الورَّاق فأبى، فتُرِك سفيان وتُرك معه حديثُه. وقِس على هذه الشاكلة، فهناك أئمةٌ عُدول لا شك في عدالتهم لكن بعضهم وَثِقَ في بعض بَنيه أو كُتَّابه وهم ليسوا أهلًا للثقة.

٥- قومٌ يلجؤون إلى نُصرة أقوالهم بالكذب على النبيِّ ج: وهذا قد يكون داخِلًا تحت ما سبق، لكن أُفرِد لأنّ له جزئيات تُخالف ما قبله، فبعضهم يتعصَّب لرأي وينتصر له ويحاول أن يلتمس له الحُجج الواهية، فإذا رأى أنه قد خُصِم وسُقِطَ في يده رفعَ عَقيرتَه وتجرَّأ بالكذب على النبيِّ ج، وقد أشار إلى شيء من هذا شيخُ الإسلام ابنُ تيمية : في مقدمة كتابه «الرَّد على البكري»، وذكر أنّ بعض المتعصِّبين ينصُر أقواله بالكذب على النبيِّ ج.

٦- قومٌ يتعمَّدون قلبَ الأسانيد أو المتون حتى تكون مثارَ الغرابة: لأنّ الشيء الغريب مرغوبٌ عند النفوس، فيتعمَّد أولئك الوضَّاعون أن يُحدِثوا ويخترعوا إسنادًا جديدًا يُركِّبوه أو يُلفِّقوه أو يُرَقِّعوه، وأيضًا يقلبوا متن حديث في إسناد آخر.. وهكذا، فيظُنّ السامعون أنّ هذا الحديث لأول مرَّة يُروَى، فيتسابقون إلى روايته.

٧- قومٌ يتقرَّبون ـ زعمًا منهم ـ ديانةً إلى الله بكذبهم ذلك على النبيِّ ج: ومثال ذلك: حديث أُبَيّ الطويل في فضائل سور القرآن الكريم، حديث طويل لكل سورة من القرآن ورد فيه ذِكر فضلٍ لها، تتبَّع أحد المحدِّثين هذه الرواية فوجد أنّ هناك جماعةً من الأشياخ قد اجتمعوا في مجلس وعَلِمَ أنّ هؤلاء هم مصدر هذا الحديث المكذوب، فلما سألهم قالوا له كلامًا معناه: رأينا الناس قد اشتغلوا بالفقه والحديث وأعرضوا عن القرآن الكريم فوضعنا لهم هذا الحديث حتى نرغِّبهم في قراءة القرآن!

٨- قومٌ كلما استحسنوا كلامًا ـ إما من حكمة قديمة أو حديثة ـ وضعوا لها إسنادًا ونسبوه إلى النبيِّ ج: ومن أصناف هذا القسم محمد بن سعيد المصلوب، فقد اعترف بلسانه أنه كان كلما استحسن كلامًا وضع له إسنادًا ونسبه إلى النبيِّ ج.

٩- قومٌ صعُب وثَقُل عليهم الحفظ وشَقَّ عليهم: فلما رأوا أنّ الأمر قد فرط من أيديهم وهانت عليهم أن تكون نفوسهم أقلَّ من أهل العلم اضطُرُّوا إلى أن يختلقوا أحاديث يسجعونها سجعًا ثم يضعون لها إسنادًا وينسبونها إلى النبيِّ ج، وقد مثَّل بعض أهل العلم برجل كان في مجلس ثم ذُكر يومُ عاشوراء فذَكر لهذا اليوم فضائلَ كثيرةً، فتعجَّب بعضُ السامعين وسأله عن ذلك قال: لتوِّي اخترعت هذا الحديث! فاعترف بنفسه على نفسه.

١٠- قومٌ غلبت عليهم الغفلة والجهل: فنسبوا أحاديث إلى غير أصحابها، وذكر يحيى بن معين أنه قد وقع لأحد من هؤلاء فقال: لقيتُ عليَّ بن عاصم فسألته عن حديث: «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها» فقال: سمعتُه من مُطرِّف، فقال عليُّ بن عاصم: أتظنني أكذب عليه؟! وهو عابدٌ ومشهور بالدِّيانة. قال يحيى: فاستحييت وقلت: لعله قد وقع في قلبك أنه عن مُطرِّف وليس عن مطرف، يعني غفلةَ الصالحين، ولا يلزمُ من كون الرجل معروفًا بالعبادة والتحنُّث والإكثار من أفعال الخيرات أن يكون ثقةً في علمه، فقد ذُكر عن بعض السلف أنه قال: «إنّ في مسجدي هذا سبعين شيخًا من مُجابي الدعوة لا أقبل من أحدهم شهادةً على بصلة»، ليس طعنًا في ديانتهم ولكن لأنهم غلَّبوا جانب العبادة وتفرَّغوا لها فشُغِلوا عن العلم وأهل العلم.

هذه الأسباب يدخل تحتها أجزاء كثيرة، وهناك أسباب أعرضتُ عن ذِكرها لأنّها قد تكون شاملةً للوضَّاعين على اختلاف أضرابهم.

❖ مسألة: ما سبب إيراد الأئمة للأحاديث الموضوعة والباطلة:

هناك سبعةُ أسباب، ولعل ما سواها يدخُل تحتها:

١- أنّ بعض الأئمة يرى أنه إذا روى الحديث الموضوع بسنده فقد برئت ذِمَّتُه؛

لأنه ما غَرَّر بالمسلمين وأهل العلم، وإنما وضع لهم سندًا وحديثًا يستطيع طالب العلم البحث والتقصِّي حتى يصل إلى النتيجة المطلوبة، وقد أشار إلى هذا الأمر الحافظ ابنُ حجر في «لسان الميزان»(١) في ترجمة الإمام الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة.

٢- أنّ أولئك الأئمة أوردوا تلك الأحاديث خشيةَ ضياع شيءٍ من العلم، فيختلط أو يلتبس على بعض الناس فيظنه صحيحًا فأورده من باب حفظ جميع ما استطاعوا الوصول إليه من العلم حتى ولو كان فيه خللٌ؛ ليتميَّز الخبيث من الطيِّب، وقد أشار إلى هذا شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في أثناء كلامه عن بعض كُتب الحديث(٢).

٣- أنهم يروون هذه الأحاديث للتحذير منها ومن شرِّها، حتى يعلم القُرَّاء ومن بعدهم أنّ هذه الأحاديث مكذوبةٌ مُختلَقة فيتَّقوا شرَّها، وشاهدُ هذا: ما ذكره الإمام ابن حِبَّان في كتابه «المجروحين» لما ترجم لجابر الجعفي ذكر أنّ شُعبة كان يروي عنه، ثم ذكر ابنُ حبان أنّ وكيعًا قال: قلتُ لشُعبة: ما لكَ تركتَ فلانًا وفلانًا ورويتَ عن جابر الجعفي؟! فقال: روى أشياء لم نصبر عنها.

ولما رأى محمدُ بن رافع الإمامَ أحمد يكتُب حديث زهير عن جابر قال: يا أبا عبدالله، تنهوننا عن حديث جابر وتكتبونه؟! قال: نعرفه(٣).

٤- أنّ بعض المشايخ ممن يتعصب لمذهب معيَّن يروي هذه الأباطيل في سبيل دعم مذهبه ورأيه الذي ذهب إليه، وخاصةً إذا كان فيه شيءٌ من الجراءة والتساهل

(١) «لسان الميزان» (٣/ ٧٥).

(٢) «الرد على البكري» (ص١٩).

(٣) «كتاب المجروحين» لابن حبان (١/ ٢٠٩).

بهذه الأحاديث؛ لأنّ التعصُّب إذا تحكَّم بالشخص أصبح كما قال ابنُ المعتمر:
لا فرقَ بين بهيمةٍ تنقاد وإنسان يُقلِّد.
فبعض الناس يعلم أنّ رأيه باطلٌ فيرى حديثًا مكذوبًا يعضد رأيه فيحجب عنه الشيطان طريقَ النور فيتجرَّأ ويجعل هذا الحديث حجَّةً ودعمًا لما ذهب إليه!

٥- الجهل بدرجتها، فقد يروي هذا الإمام حديثًا ولا يكون من المعروفين بالتخصُّص في علم الحديث، فيرويه على أنه صحيح أو يُقلِّد مَن كان قبلَه، وهذا واردٌ، فبعض الأئمة يُبرِّزُ في فنٍّ ولا يكون كذلك في الفنّ الآخَر، وهذه الأمور على حسب رَغبات الشخص، فتجدُ رجُلًا بليغًا في النحو والبيان ولكن يجهل كثيرًا من علوم الحديث، وفي المقابل تجدُ رجُلًا محدِّثًا يحفظ العلل والأسانيد ولكن يلحنُ لحنًا كثيرًا في كلامه.

ويُذكِّرني هذا بعبارة قالها الإمامُ الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ»[1] في ترجمة الحَليمي من الشافعية، عند حديث: «لصاحب القرآن دعوة مستجابةٌ عند ختمه» في إسناد هذا الحديث ذكر الذهبي رجُلًا اسمه نوح يُكنى بأبي عصمة المروزي نوح الجامع، يقول الذهبي: «نوح الجامع مع جلالته في العلم تُرك حديثُه». ثم قال الذهبي: «فكم من إمامٍ في فنّ مُقصِّر عن غيره، كسيبويه مثلًا إمامٌ في النحو ولا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وكأبي نواس رأس في الشِّعر عريّ عن غيره، وعبدالرحمن بن مهدي إمامٌ في الحديث لا يدري ما الطبّ قط، وكمحمد بن الحسن رأس في الفقه

(١) (٣/ ١٠٣١).

ولا يدري ما القراءات، وكحفص إمام القراءات تالِفٌ في الحديث، وللحروب رجالٌ يُعرَفون بها...» إلخ ما قال رحمه الله تعالى.

٦- أنّ بعضهم يرى أنّ كثرة الطرق قد ترفع الحديث إلى درجة الاحتجاج، وقد ذكر أهلُ العلم هذه القاعدة، ولكنها ليست مطَّردةً، فهناك أحاديث أسانيدُها واهية لو اجتمعت فلا ترفع الحديث ولو شيئًا يسيرًا.

٧- التساهل في روايات الأحاديث في غير الأحكام، فكثيرٌ من أهل العلم يتساهل في رواية الأحاديث في فضائل الأعمال ولكن بشرط ألا يكون الضعف شديدًا، وبعضهم يُدرج البواطيل من هذا الباب، هذا ما يتعلق بالروايات.

بقي ما يتعلق بالأفهام، فقد يقول قائل: كيف فهم هذا الإمام هذا الفهم والنص يُخالف فهمَه؟! وكيف تجرَّأ وخالف النصَّ؟

ذكر أهل العلم أسبابًا كثيرةً، وقد ذكرها وفصَّل فيها شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ : ـ في كتاب صغير الحجم عظيم القدر: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، ذكر من هذه الأسباب:

١- **لعل الحديث لم يبلغ ذلك الإمام**: وقد ثبت أنّ بعض كبار الصحابة ي لم يعلموا بأحاديث بعد موت النبيِّ ج إلا بعد مدَّة طويلة.

فهذا عُمر ا بعد سنين من موت النبيِّ ج يأتي أبو موسى الأشعري ا فيطرُق بابه فيقول: السلام عليكم هذا أبو موسى، ثم يطرُق ثانيةً فيقول: السلام عليكم هذا الأشعري، ثم يطرُق ثالثةً فيقول: السلام عليكم هذا عبدالله بن قيس، فلما لم يسمع جوابًا رجع من حيث أتى، وكان عُمر مشغولًا، فلما فرغ قال: ألم أسمع صوتَ عبدالله بن قيس؟ قالوا: بلى. فطلب حضورَه، فلما حضر

قال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: حديث سمعتُه من النبيِّ ج يقول: «**إذا استأذنَ أحدُكم فليستأذن ثلاثًا، فإن أُذنَ له وإلا فليرجع**». فاستغربَ عُمر هذا الحديث، فطلب منه شاهدًا على حديثه، فذهب أبو موسى إلى مجلس من مجالس الأنصار وسألهم: أسمعَ منكم أحدٌ؟ فقام معه أبو سعيد. وفي رواية صحيحة: قام معه أُبَيّ ـ وجُمع بينهما أنّ أبا موسى وأبا سعيد ذهبا ولحِقَهُما أُبيّ ـ قال أُبيّ: يا أمير المؤمنين، لا تكُن فظًّا على أصحاب النبيِّ ج، فاعتذرَ عُمر وقال: شغلني الصفقُ في الأسواق عن هذا، أو كما قال ا .

والإنسانُ لكثرة أشغاله قد يخفى عليه الشيءُ الكثير، وقد قال شيخُ الإسلام: «وإحاطة الإنسان بما يعلمه أقل من إحاطته بما يجهله، فالأصل أنّ الإنسان يجهل كثيرًا، وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا [(١)].

٢- أن يَبلُغَه الحديث لكن يرى ـ بعلمه ـ أنّ الحديث ضعيفٌ: وهذا مجتهد إنْ أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجرٌ واحدٌ.

٣- أن يبلغه الحديث ويكون ثابتًا عنده لكن يرى أنّ الحديث منسوخ.

٤- أن يبلغه الحديث ويكون ثابتًا عنده ولا يكون منسوخًا لكنه عامّ عنده مُخصَّص بغيره، أو قد يكون مطلقًا مقيَّدًا بغيره.

هذه الأسباب الأربعة تكفي هنا، ومن أراد المزيد فليُراجِع رسالة شيخ الإسلام المشار إليها آنفًا.

***

(١) النحل: ٧٨.

من خصائص الأنبياء لإ

ذكرَ بعضُ أهل العلم أنّ للأنبياء خصائص يختصُّون بها دون غيرهم، وهذه الخصائص يُمكن إجمالُها في ثمان خصائص:

١- **الوحي**: وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ [(١)].

٢- **العصمة من الوقوع في الكبائر**: وإن وقعوا في الصَّغائر فإنّ الله لا يُقرُّهم، بل يُسارِعون بالتوبة إلى الله لأ .

٣- **تنامُ أعيُنُهم ولا تنامُ قلوبهم**: عن أنس ا : «إنّ الأنبياء تنامُ أعيُنُهم ولا تنام قلوبهم». رواه البخاري موقوفًا على أنس، وله حُكم الرَّفع. قاله ابنُ حجر، وورد مرفوعًا: «**إنا معشر الأنبياء تنامُ أعيُنُنا ولا تنام قلوبُنا**»[(٢)].

٤- **أنّ الله لأ حرَّم على الأرض أن تأكُل أجسادَهم**: دليلُه ما رواه أبو داود والنسائي وابنُ خُزَيمة ـ وصحَّحه ـ مرفوعًا إلى النبيِّ ج: «**إنّ الله حرَّم على الأرض أن تأكُل أجسادَ الأنبياء**».

٥- **التخيير عند الموت**: دليلُه ما رواه البخاري عن النبيِّ ج قال: «**ما من نبيّ**

---

(١) الأنبياء: ٢٥.

(٢) أخرجه ابنُ سعد في «الطبقات» (١/ ١٧١) مرسَلًا، وله شاهد من حديث ابن عباس ب في قصة قُدوم اليهود على النبيِّ ج، وفيه: ... قالوا: أخبرنا عن علامة النبيّ. قال: «**تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبُه**».. أخرجه الترمذي وأحمد والطبراني في «الكبير» والضياء في «الأحاديث المختارة»، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب.

يمرَض إلا خيَّره الله بين الدنيا والآخرة».

٦- **أنّ الأنبياء يُدفَنون في مكان موتهم**: روى الإمام أحمد وغيرُه أنّ النبيَّ ج قال: «**لم يُقبَر نبيٌّ إلا حيث يموت**». ولما اختلَف الصَّحابة ي في دفن النبيِّ ج جاء أبو بكر ا وفصَل في القضية، فقال: سمعتُه يقول: «**يُدفن النبيُّ حيث قُبِض**».

٧- **أنهم أحياء في قبورهم يُصلُّون**: والحديث عند البخاري في «الصحيح».

٨- **لا يُورَثون**؛ لحديث: «**لا نورَثُ، ما تركنا صدقةٌ**».

* فائدة تتعلق بالأنبياء جميعا:

ورد في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[1]، ففي هذه الآية بيان أنّ الله فضَّل بعضَ الرُّسُل على بعض، وجاء في الحديث أنّ النبيَّ ج قال: «**لا تُفضِّلوني على الأنبياء**»، والسؤال: كيف نجمع بين الآية والحديث؟

ذكر ابنُ كثير خمسةَ أوجُه في الجمع بين الآية والحديث:

١- أنّ الرسول ج نهى عن تفضيله على الأنبياء قبل أن يعلم بفضله عليهم. قال ابنُ كثير: وفي هذا نظر.

٢- أنّ الرسول ج قال ذلك من باب التواضع في حقِّه ج.

٣- أنّ النهي عن التفضيل متعلِّق بحالة التشاجُر والمنازعات والسِّباب؛ لأنّ الحديث الذي سبق ذِكرُه له قصة: أنّ رجُلين من المسلمين ومن اليهود اختصما، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالَمين، فرفع المسلمُ يده فلطم اليهوديّ لطمةً... فاشتكى اليهوديّ إلى النبيِّ ج فقال: «**لا تُفضِّلوني على الأنبياء**».

(١) البقرة: ٢٥٣.

٤- أنّ النهي عن التفضيل إذا كان في مقام التعصُّب والعصبية؛ لأنّ هذا قد يؤدِّي إلى ذمّ الآخَرين.

٥- أنّ أمر التفضيل إلى الله لأ وليس إلى الناس.

* مسألة: عصمة الأنبياء لإ :

اتفق أكثرُ علماء الإسلام على أنّ الأنبياء لإ معصومون من الكبائر، وعدَّه بعضُهم إجماعًا، لكن لعل الصحيح أنّ هذا قول الكثير من أهل العلم، وأما الصغائر فقد رأوا أنهم يقعون فيها لكن الله لأ يُوفِّقهم إلى التوبة، وذكروا من ذلك أدلةً، منها: أكل آدم من الشجرة، وطلب نوح نجاة ابنه، وخطيئة داود، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ (١).

وأما المعارِضون على وقوع الأنبياء لإ في الصَّغائر ـ الذين قالوا بأنه يستحيل أن تقع الصغائر منهم ـ فلهم على ذلك دليلان في الإجمال:

١- أنّ الأنبياء لإ في مقام القدوة وأعمالهم من قَبيل الطاعات والقُربات، فلو ارتكبوا تلك الأمور لتداخلت أعمالُهم ودخل الصالح بغير الصالح، ثم وقع اللَّبس على أتباعهم وأقوامهم.

٢- أنّ نسبة الذنب إلى الرَّجل الصالح يقدح فيه، فكيف بنسبته إلى أنبياء الله عليهم الصَّلاة والسلام؟

أجاب الأكثرون: أنّ الدليلين لا يقومان في ردّ قولهم، وأجابوا:

١- لو لم يكن من الله تنبيه لهم لكان كما قالوا، لكن الله لأ يُنبِّهُهم إلى ما وقعوا فيه فيستغفرون الله تعالى ويؤوبون ويكونون قدوةً لأممهم ولمن وقع منهم

---

(١) التحريم: ١.

في الخطأ فيُسارِع إلى التوبة كما سارع رسوله ج إلى التوبة من ذنبه.

٢- أنّ قولكم: إنّ «هذا الذنب يقدح» ليس كذلك، فحالُ العبد بعد توبته من ذنبه ـ كما هو الصحيح ـ أكمل من حاله قبل الذنب؛ لأنّ العبد إذا أذنب ثم تاب وصاحبَ توبتَه إنابةٌ وأَوبةٌ وخوف ووَجَل فلا شكّ أنّ هذا لم يحصل إلا بحُصول ذنبه، ولولاه لم يحصُل، فدلّ هذا على أنّ توبة العبد من ذنبه أفضلُ من حالتِه قبل الذنب.

وقد قرَّر ذلك ابنُ القيِّم : في «مدارج السالكين»، ومما يدُلّ عليه قولُ النبيِّ ج: «**لَلَّـهُ أشدُّ فرحًا بتوبة أحدِكُم من أحدكم بضالته إذا وجدَها**». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

* بعض المسائل التي تتعلق بالأنبياء لإ :

هذه بعضُ المسائل التي تتعلق بالأنبياء أو بمقام النبوَّة على أصحابها أتمُّ الصلاة والتسليم:

١- أنّ من كذَّب نبيًّا واحدًا فقد كذَّب جميع الأنبياء لإ وكفر بهم، يدُلّ له: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[١]، ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[٢]، ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[٣]. فقومُ لوطٍ ما كذَّبوا إلا نبيَّهم فقط، فحكم الله بتكذيبهم جميعَ الأنبياء لإ ، وكذا قوم صالح؛ لأنّ مقتضى دعوة الأنبياء واحد، فمن كذَّب نبيًّا واحدًا أصبح من لازم تكذيبه أن يكون مكذِّبًا لجميع الأنبياء.

---

(١) الشعراء: ١٠٥.

(٢) الشعراء: ١٢٣.

(٣) الشعراء: ١٦٠.

٢- ليس في النساء نبيَّة. هذا هو القول الصحيح والراجح إن شاء الله، ومما يدُلّ عليه:

أ- وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ (١). وهذا يقتضي الحصر، فالنبوة محصورةٌ في الرِّجال.

ب- أنّ مَقام النبوَّة يقتضي أن تُشهَر دعوةُ النبيِّ بالحق، وأن يُناظَر أهلُ الباطل، وأن تكون الدعوة بارزةً وشاهرةً أمام الناس، وهذا المقام ليس من مقامات النساء، بل من مقامات الرِّجال.

جـ- أنّ المرأة عليها ما يُعطِّلُها ويُضعِفها؛ من آلام المخاض، والولادة، والنفاس، والحيض، وما شاكله.

د- أنّ قضية النبوَّة والرِّسالة تستلزم قوامة الرَّسول على أتباعه وعلى أنصاره، ولو كان ذلك المقام ـ مقام النبوة ـ لامرأة لاستنكفت نفوس بعض الناس ـ بل كثير من الناس ـ أن يكونوا مطواعين لامرأة تقودُهم.

ومن باب الفائدة وحتى نعرف وجهة النظر الأخرى: ذهب بعض العلماء ـ كأبي الحسن الأشعري، والإمام القرطبي، وابن حزم ـ إلى أنّ في النساء نبيَّات، فمريم عندهم نبيَّةٌ بالإجماع، وعدَّ آخَرون من النبيَّات أمَّ موسى، وسَارَة، وحوَّاء، واحتجُّوا لذلك بأدلة، منها:

١- أنّ الله تعالى ذكر اصطفاءه لمريم رحمها الله: يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢).

---

(١) النحل: ٤٣.

(٢) آل عمران: ٤٢.

٢- أنّ كُلّ من جاءه الملَك فهو رسول أو نبيّ، ومن المعلوم أنّ الله أرسل مَلَكًا إلى مريم، ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا﴾[(١)].

هذا ـ باختصار ـ مُجملُ أدلة من قال بنبوة بعض النساء.

الردّ عليهم:

١- لا يلزم أنّ كلّ من اصطفاه الله ﻷ أن يكون من الأنبياء، ودليله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[(٢)]. وفي آل إبراهيم وآل عمران ـ قطعًا ـ من ليسوا بأنبياء ولا رسُل، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[(٣)]. ومن المعلوم أنّ الأنبياء لا يَظلِمون أنفسهم، فاختلاف طبقات الناس على أقسام ثلاثة يدُلّ على أنّ بينهم تفاضلًا، ومن المعلوم أنّ النبوَّة في أعلى مقام، فإذا كان فيه الظالم لنفسه وفيه المقتصد عُلم أنّ في اصطفاء الله لعباده من ليسوا بأنبياء ولا رُسُل.

٢- لا يلزم أنّ كل من أتاه ملَك فهو نبيّ، ومما يدُل عليه أحاديث كثيرة، منها:

أ- حديث الأقرع والأعمى والأبرص، فقد جاءهم الملَك واختبرهم كما أمر اللهُ ﻷ.

---

(١) مريم: ١٨-١٩.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) فاطر: ٣٢.

ب- ومن ذلك حديث الذي زار أخًا له في الله فأرسل اللهُ على مَدرَجته ملَكًا فقال: هل لكَ من نعمةٍ تَرُبُّها عليه؟ قال: لا، إلا أني أُحبُّه في الله... الحديث.

ومما يَرِدُ على قولهم قول النبيِّ ج فيما صحَّ عنه: «**فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم ابنة عمران**». فهذا الحديث يُسقِط قول من قال: إنّ أمَّ موسى نبيّة، وبأنّ سارة نبيّة، وبأنّ حواء نبيَّة، فتبقى مريم.

قالوا: يردُ على ذلك أنّ الله وصف مريم بالصِّدِّيقة. ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾[1]. ولو كانت نبيةً لوصفها بهذا الوصف؛ لأنه أعظم من وصف الصدِّيقية.

وأما قضية الوحي في قوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾[2] فلا يلزم منه أنّ كل من أوحى الله إليه يكون نبيًّا؛ لأنّ الوحي قد يكون بمعنى الإلهام كما في خبر أمِّ موسى السابق، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا...﴾[3].

وعلى هذا فيكون القول الصحيح: أنّ الأنبياء جميعًا من الرِّجال وليس في الأنبياء لا نبيةٌ.

***

(١) المائدة: ٧٥.

(٢) القصص: ٧.

(٣) النحل: ٦٨.

تنبيهات وفوائد متفرقة

❖ **المسألة الأولى:**

نقرأ في بعض التفاسير وعند بعض مَن كَتَب عن الأنبياء تحديد أماكن قُبور الأنبياء، كما قالوا بأنّ قبر النبيّ فلان في ذلك المكان، أو في ذلك المسجد، أو ما شاكله.

نقل شيخُ الإسلام ابن تيمية عن بعض أهل العلم أنه لا يُعرَف قبرُ نبيّ بعينه إلا ما كان من قبر نبيِّنا محمد ج فهو معلومٌ بعينه[1] في بيت عائشة ل ، أما ما سواه من الأنبياء فهناك بعض الأنبياء جاء تحديد للمكان أو المدينة كما قال ج: «.. **وإنّ قبره** ـ يعني موسى ؛ ـ **عند الكثيب الأحمر، ولو كُنتُ ثَمَّ لأريتُكم إياه**»، أو كما قال ج. فالكَثيب الأحمر علمُه عند الله لأ، وقد يكون معلومًا بأنه مكانٌ واسعٌ، لكن لا يصحّ أن تُحدِّد فتقول: هذه البُقعة فيها قبر النبيّ فلان.

كذلك ما قالوا عن إسماعيل ؛ بأنه مدفونٌ في الحجر أو الحَطيم، ويُسَمَّى على هذا: حِجر إسماعيل، هذا الكلام يحتاج إلى إسناد، والأقرب أنه لا يصحُّ، فإسناده ضعيف[2]، ويترتب على ذلك أنّ الناس جميعًا يستقبلون قبر نبيّ في الحَرَم، ولهذا فالشيخ ابنُ عثيمين : ـ لا أدري هل سبقه أحدٌ بهذا القول أم هو أول من قال به ـ يقول: لا ينبغي أن يُسمَّى الحِجر بحِجر إسماعيل، ولكن

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٣١٩).

(٢) «تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٣١٢)، «فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين» (٢/ ٦٠٩) إعداد: أشرف ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم.

يُسمى بالتسمية اللغوية: الحجر أو الحَطيم؛ لأنّ القول بأنه حِجر إسماعيل ينصُر قول من قال بأنّ قبر إسماعيل موجودٌ في ذلك المكان.

❖ **المسألة الثانية:**

صفة الثناء على الأنبياء هي المعلومة بـ«صلى الله عليهم وسلم»، أو «عليهم الصَّلاة والسلام»، وهذه الصفة لا تُطلَق باطِّراد واستمرار إلا على مَقام الأنبياء والرُّسل عليهم الصلاة والسلام، أما غيرُهم فقالوا: تُطلَق تبَعًا أو لسبب.

مثال التبع: اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمد.

ومثال السبب: كأن يفعلَ شخصٌ فِعلًا معروفًا ينفعُ به الإسلام والمسلمين، كما ورد في البخاري أنّ ابنَ أبي أوفى أتى بزكاته أو صدقته، فسأل النبيُّ ج: «**صدقة من هذه؟**»، فقالوا: صدقة آل أبي أوفى، فقال: «**اللهمَّ صلِّ على آل أبي أوفى**».

وعلى هذا؛ فالقول الصحيح عند أهل العلم أنّ هذه الصفة ـ الصلاة والسَّلام ـ لا تُطلَق دائمًا إلا على مقام الأنبياء والرُّسل لإ .

تنبيه:

أحبّ أن أورد أمرًا، وهو: أنّ عليَّ بن أبي طالب ا يوصَف دائمًا بثلاث صفات، هذه الصفات في الغالب يوصَف بها دون غيره من الصحابة ي :

١- كرَّم الله وجهَه. ٢- الإمام. ٣- ؛ .

الغالب أنّ في هذه الصفات نَفَسًا شيعيًّا رافضيًّا، وقد يكتبُها بعضُ الناس عن حُسن نيَّة، وعلى كلِّ حال: هذه الصِّفات الثلاث لا ينبغي أن يُخَصّ بها عليّ ا .

فقد ذكر ابنُ كثير في تفسيره ـ في سورة الأحزاب ـ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1]: أنّ عليًّا يُخَصُّ بـ« ؛ » دون غيره من الصَّحابة ي ، ونقل عن الإمام الجويني بأنه لا ينبغي أن يوصَف عليٌّ بهذا، ثم ذكر ابنُ كثير بأنّ الشيخين أبا بكر وعمر ب أولى من عليّ في هذا الفضل.

أما مصطلح «الإمام» فنقرأ جميعًا في بعض كتب الأدب وغيرها ما نصُّه: من خُطَب أبي بكر، من خُطَب عُمر، من خُطب عثمان، من خُطَب الإمام عليّ، لِمَ خُصَّ بالإمامة دون غيره؟ هذا قد يُصدِّق ما سبق أنهم لا يرون الإمامةَ إلا في حقّ عليّ ا ، وبكلّ حال فلا ينبغي أن يوصَف عليّ ا بهذه الصِّفة استقلالًا وانفرادًا، وهو الذي قال ا : «من فضَّلني على أبي بكر وعُمر جلدتُه حدَّ المفتري».

وأما وصف «كرّم الله وجهه» فيعلِّل من يصف عليًّا ا بهذا الوصف أنّ عليًّا ا لم يسجُد لصنم قطّ، وممَّن نصر هذا القول ابنُ حجَر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية»، فقال: إنّ عليًّا استحقّ هذا الوصف لأنه لم يسجُد لصنم قط، ثم قال: ويُشاركُه في ذلك الصدِّيق، لكن هذا الوصف في حق علي أولى؛ لأنه بالإجماع أسلم وهو صبيّ وعُلِم بالضرورة أنه لم يسجُد لصنم قطّ.

هذا التعليل ـ وإن كان صحيحًا ـ لكنه ليس مُلزِمًا، فهناك صحابة وُلِدوا في الإسلام، آباؤهم مسلِمون، وأمَّهاتهم مسلِمات، وجاهدوا في سبيل الله، وأحسنوا أحسنَ البلاء، وما مرَّغوا جبينهم يومًا من الدهر لصنم قط، ومع هذا كلِّه لم يُوصَفوا بهذه الصفة.

ثم في الصحابة ي من هو أفضل من عليّ، كأبي بكر وعُمر وعثمان، مع

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

أنهم أسلموا وهم كِبار ولكنهم في معتقَد أهل السنة والجماعة كما قال الإمام أحمد : : من لم يُربِّع بعليّ ـ أي يجعله في المرتبة الرابعة ـ فلا تُناكِحُوه ولا تُسلِّموا عليه. أو كما قال رحمه الله تعالى، فينبغي أن تكون الصِّفة في الصحابة ي كما ذكره الله لأ : « ي ».

❖ المسألة الثالثة:

مما يتعلق بالأنبياء أحاديث كثيرة في فضل التسمِّي بأسمائهم، فقد جاء أحاديث كثيرة فيها الموضوع، والضعيف الشديد الضعف، ويسيره، في فضل التسمِّي بأسماء الأنبياء.

لكني أورِد حديثًا واحدًا لعله من أشهرها ومن أكثرِها رَواجًا في الكُتب، وهو حديث: «تسمَّوا بأسماء الأنبياء»، هذا الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود، وضُعِّف الحديث برجُلين: عقيل بن شبيب يرويه عن أبي وهب الجشمي، قال الذهبي: لا يُعرَف عقيل ولا من رَوى عنه إلا في هذا الحديث.

وجاءت أحاديثُ في فضل التسمِّي بمحمد، كحديث: «خير الأسماء ما حُمِّد وما عُبِّد»، وحديث: «أصدق الأسماء محمد وعبدالله» ... إلخ، وهذه من الأخبار الضعيفة جدًّا، وهناك غيرُها، لكني ذكرتُ هذا بعينه لأنه من أكثرِها رَواجًا في الكتب، وهو الذي يُصدَّر عند ذكر تسمية الأنبياء.

❖ المسألة الرابعة:

أيضًا فيما يتعلق بالأنبياء ـ لإ ـ جميعًا ما صحَّ من قول النبيِّ ج: «**إنا معاشر الأنبياء لا نورَث، ما تركناه صدقة**». فبيَّن ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنّ الأنبياء لا يترُكون ميراثًا لذويهم كسائر الناس.

وقد ذكر بعضُ أهل العلم أنّ من الحِكَم في كون الأنبياء لا يُورثون حتى لا يتمنَّى أحدٌ من آل بيت النبيّ موتَ النبيّ ليظفَر بشيء من ميراثه، هكذا ذكر بعضُهم، والله تعالى أعلم.

وقد يُشكِل على بعض الناس ما ذكره اللهُ تعالى في سورة مريم قائلًا على لسان زكريا ؛ : يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا [(١)]. وهذا الإشكال قد ذكره وأجاب عنه ابنُ قُتَيبة في كتابه «تأويل مختلِف الحديث»؛ لأنّ هذا الكتاب يجمعُ بين ما أثاره بعضُ من ضلَّ وزاغَ عن الطريق المستقيم وأورد إشكالات بقصد إثارة الاختلاف بين النصوص.

وابنُ قتيبة ـ كما سمّاه شيخ الإسلام عندما قال: فالجاحظ خطيب المعتزلة، وابنُ قتيبة خطيب أهل السنَّة ـ أجاب ابنُ قتيبة بما معناه: لا تعارض، فالمراد بالميراث الذي ورد في الحديث ميراث المال، وأما الميراث الذي في الآيات فهو ميراث النبوة والرِّسالة والملك، وعلى هذا فلا يكون هناك إشكالٌ.

❖ **المسألة الخامسة:**

أيضًا في مقام الأنبياء جميعًا ورد في خاتمة سورة يوسف ؛ ـ وهذا والذي قبله داخلٌ في الأفهام الخاطئة ـ قوله تعالى: حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ ... [(٢)]. هذه الآية ربما يقرؤها بعضُ الناس ويُشكِل عليه ظاهرُها والمرادُ منها، وقد حصل هذا الإشكال في زمنٍ متقدِّم وأجابت عنه الصدِّيقة بنتُ الصدِّيق رضي الله عنها وعن أبيها.

---

(١) مريم: ٦.

(٢) يوسف: ١١٠.

وقد ورد أنّ مسلمَ بن يسار أشكلت عليه هذه الآية، فشكى إشكاله إلى سعيد بن جُبير، الشاهد: أنّ سعيدَ بنَ جُبير أجاب وأزاح الإشكال عن ذلك الشاب، فقام الشابُّ فرِحًا فاعتنقه وقال: فرَّج الله عنك كما فرَّجتَ عنِّي.

والمفهوم الباطل الذي لا يرد ـ إن شاء الله ـ من هذه الآية ما تصوَّره بعضُ ضعفاء النفوس: أنّ الأنبياء ظنُّوا أنّ الله قد كَذَبهم ما وعدهم به! وهذا مُحالٌ في حقِّ عامّة المسلمين، فكيف يكون ذلك في حقِّ أتقى الناس وأخوف الناس من الله ﻷ ؟ وعلى هذا فخُرِّجت هذه الآية على تخاريج، منها:

١- حتى إذا استيأس الرُّسل من قومهم جميعًا وظنَّ الرُّسل أنّ أتباعَهم أيضًا سينكُصون على أعقابهم.

٢- حتى إذا استيأس الرُّسل من قومهم جميعًا وظنّ أقوامُ الرُّسل أنّ الله قد أخلف رُسُلَه ما وعدهم به من النصر.

٣- حتى إذا استيأس الرُّسل من إسلام قومهم وظنّ أقوامُ الرُّسل أنّ الله ﻷ قد أخلف عقوبته لهم على ألسنة رُسُله.

وهناك أقوالٌ أخرى ذَكَرها أهلُ التفسير[1].

ولعلّ المعنى الصحيح والله تعالى أعلم: أنّ الرُّسل لَمَّا استيأسوا من قومهم وظنوا أنّ قومَهم كذبوهم وخشوا أن يرجع أتباعُهم إلى قومهم المكذِّبين، جاء أمرُ الله فنجَّى من شاء وأهلك المجرمين.

وهنا أيضًا قولٌ رُوي عن ابن عباس ب قال: إنّ المراد ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ أي: الرُّسل كُذِبوا من ربِّهم.

أولًا: هذا الإسناد يحتاج إلى ثبوت صحته لابن عباس.

ثانيًا: لو صحَّ هذا الإسناد ـ وهذا بعيد ـ فقد خرَّجه أهلُ العلم بأنّ هذا قد يقع ويَرِدُ عارِضًا ولا يتحقق ولا يستقرّ.

---

(١) انظر مثلًا: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٣٥-٥٣٦).

القسم الثاني

الأنبياء والمرسلون

لإ

١- آدم ؛ ٢- نوح ؛
٣- إبراهيم ؛ ٤- إسماعيل ؛
٥- صالح ؛ ٦- يوسف ؛
٧- موسى ؛ ٨- هارون ؛
٩- شعيب ؛ ١٠- داود ؛
١١- سليمان ؛ ١٢- أيوب ؛
١٣- يونس ؛ ١٤- عيسى ؛
١٥- نبينا محمد ج

آدم ؛

أبو الأنبياء والرُّسل جميعًا، قيل: إنّ «آدم» اسم سرياني، مأخوذ من كلمة عبرانية «آدام» بمعنى: التراب، ومنه سُمِّي آدم؛ لأنه خُلق من تُراب.

وقيل: مأخوذ من أديم الأرض، وهي كلمة عربية؛ لأنه خُلق من أصلها.

وقيل: مأخوذ من: أدمت بين الشيئين، إذا خلطت بينهما وشرَّكتهما؛ لأنه ؛ خُلق من الطين والماء، أو من التراب والماء.

❋ من خصائص آدم ؛ :

١ - أنه أبو البشر.

٢ - أنّ الله تعالى خلقه بيده.

٣- أنّ الله لأ علَّمه الأسماء.

٤ - أنّ الله تعالى نفخ فيه الرُّوح.

٥ - أنّ الله تعالى أسكنه جنَّته.

❋ من المسائل المتعلقة بآدم ؛ :

المسألة الأولى:

ما ذكره الله لأ في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]. نحتاج إلى أن نعرفَ ما هذه الكلمات؟

---

(١) البقرة: ٣٧.

ورد في ذلك أقوالٌ كثيرة، لكني أكتفي منها بقولين:

أ- أنّ آدم ؛ لما عصى ربَّه وعَلِم بخطيئته دعا ربَّه قائلًا: «أسألك بحقّ محمد»، فقال الله لأ : وما أدراك عن محمد؟ قال: يا ربّ رفعت رأسي فوجدت أنّ اسمه مكتوبٌ في العرش، فغفر الله له، وأخبره أنّ هذا من ذريته وأنه لولا محمد لما خلقتك يا آدم.

هذا الحديث أخرجه الحاكم والبيهقي في «دلائل النبوة» وأبو نعيم في «الدلائل»، وهو حديث معلول بعلل كثيرة؛ بعلتين إسناديتين، وعلة متنية:

العلة الإسنادية الأولى: في إسناده عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، هذا الرجل قال فيه البخاري : : منكَر الحديث. وقد قال البخاري: من قلتُ عنه «منكر الحديث» فلا تحلّ رواية حديثه.

العلة الإسنادية الثانية: جهالة الإسناد إلى عبدالرحمن هذا، فاجتمع سلسلة مجاهيل ورجُل ضعيف جدًّا.

العلة المتنية: أنّ هذه الرواية مخالفة لظاهر القرآن الكريم.

ب- التفسير الصحيح للكلمات: هو ما جاء في قوله تعالى عن الأبوين: قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ [(١)]. وممَّن نصر هذا القول شيخُ الإسلام ابن تيمية : في مقدمة كتابه «الرَّد على البكري»، وقال: ومن ذكر أنّ الكلمات التي تلقاها من ربِّه غير هذه لم يكن معه حُجَّة في خلاف ظاهر القرآن[(٢)].

---

(١) الأعراف: ٢٣.

(٢) «الرد على البكري» (ص١١).

وممَّن نصره أيضًا تلميذه ابنُ كثير في «تفسيره».

فتفسير الكلمات إذن جاء مفسَّرًا بالقرآن الكريم، وهو أفضل أنواع التفسير.

المسألة الثانية:

قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾[١]

ورد عند هذه الآية روايات كثيرة، من أشهرها في الذكر:

«أنّ الشيطان دخل في جوف الحية ودخل الجنة، ثم خرج من جوفها ووسوس أو زَيَّن للأبوين ﴿إ﴾ الأكل من الشجرة، فأكلا منها حتى وقع ما قصَّ اللهُ علينا».

وهناك رواياتٌ كثيرة أعرضتُ عنها صَفحًا واكتفيتُ بهذه الرِّواية؛ لأنها قد تكون من أشهر ما ذُكِر من هذه الرِّوايات، وإلا فقد قالوا بأنه دخل في جوف بختي[٢]، وأنّ الله عاقبه فمسخ قوائمه وأصبح يزحف كما نرى الحيات!

هذا كلامٌ مرفوضٌ وتَمَجُّه العقول السَّليمة، ولأنه شيءٌ ابتُلينا به وصدَّقه بعضُ ضعفاء العقول فلا بُدَّ أن نعرف بُطلانه.

فإن قال قائل: كيف دخل الشيطان الجنة؟

نقول: ما أُمِرنا بالتتبُّع عن كلِّ دقيقة وجَليلة، بل ما صحَّ به الخبر قلنا: سمعنا وأطعنا، وما لم نعلم به وكَلنا علمَه إلى الله تعالى، ولهذا أدَّب عيسى ؛ قومه فقال: «يا بني إسرائيل، لا تقولوا: لِمَ أُمِرنا؟ ولكن قولوا: بِمَ؟». فنحن لم نُكلَّف بالتنطُّع في البحث عن العِلل والأشياء الدقيقة، فنقول: إنّ الله أخبرنا أنّ الشيطان

---

(١) البقرة: ٣٦.

(٢) وهو الجمل ذو السَّنامين.

زَيَّن لهما بعد طرد إبليس من الجنة، وأما كيف كان ذلك؟ فنقول: علمها عند ربِّي في كتاب.

المسألة الثالثة:

هناك آيتان في سورة الأعراف كثُر الكلام عليهما، وهما قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

هناك تفسيرٌ ضعيفٌ جدًّا، بل عدَّه بعضُهم باطلًا، وهذا التفسير جاء مفسَّرًا بحديث عن سَمُرَة: «أنّ حوَّاء كان لا يولَد لها ولدٌ إلا ويموت، فجاء الشيطان فطاف بهما وقال: سمِّياه عبد الحارث، فأطاعا الشيطان وسمَّياه عبد الحارث، فعاش لهما». فذُكِرت هاتان الآيتان في سبيل أنهما أطاعا الشيطان ووقعا فيما ذكره الله تعالى من الشرك. هكذا جاء تفسير الحديث.

رَدّ كثير من أهل العلم على هذا الحديث:

هذا الحديث ضعَّفه كثيرٌ من أهل العلم، ومنهم:

١- الإمام ابن حزم الظاهري : حيث قال: هذا الحديث كذبٌ موضوعٌ، وقد وضعه من لا دينَ له ولا حياء.

٢- الإمام أبو بكر بن العربي المالكي : .

٣- الإمام ابن كثير : في «تفسيره».

٤- الإمام الذهبي : في «ميزان الاعتدال» وحَكَم عليه بأنه حديثٌ منكَر.

---

(١) الأعراف: ١٨٩-١٩٠.

٥- الإمام القاسمي : في تفسيره «محاسن التأويل».

٦- الإمام القرطبي : .

٧- الرازي : صاحب «عصمة الأنبياء».

هذا الحديث أعلَّه ابنُ كثير بعلل ثلاث:

الأولى: في إسناده رجلٌ اسمه عمر بن إبراهيم، وقد تُكلِّم فيه.

الثانية: أنّ الحديث روي موقوفًا من قول سمُرة ، قالوا: ولعله تلقَّاه من بعض أهل الكتاب.

الثالثة: أنّ الحسن البصري ـ راوي هذا الحديث عن سمرة ـ قد سُئل عن هذه الآية وأفتى بخلاف ما نصَّ عليه هذا الحديث، ولو كان الحديث ثابتًا عنده لما تردَّد في الفُتيا به.

بعد هذا يُقال: ويترتب على صحة الحديث نسبة الشرك إلى الأبوين ، وللرَّد على هذا يُقال: إنّ مما يدل على بُطلان نسبة الشِّرك إلى الأبوين في هاتين الآيتين:

الأول: أنّ آدم ؛ في حديث الشفاعة لما طلب الناس منه أن يشفع لهم اعتذر، ولماذا؟ لأنه أكل من الشجرة، ولو كان آدم وقع في هذا الموقع الذي ذكره لذكره للناس؛ لأنه أعظم ذنبًا وجُرمًا من أكله من الشجرة.

الثاني: مما يُبعِد نسبةَ الشرك لآدم ؛ أنّ الأنبياء معصومون من الشرك كما سبق بيانُه.

الثالث: أنّ الشيطان قد أغواهما بالأكل من الشجرة في الجنة، فهل من الممكن أن يأتي إلى آدم ـ وهو الحريص على الخير ـ والذي حذّره الله من شرِّه فيلدغه الشيطان مرَّةً أخرى بمكر آخر؟! هذا بعيد.

الرابع: أنّ الله **لأ** كلما ذكر ذنبًا لعبد ثم تاب العبدُ ذكر توبته، ولم يذكر عن آدم **؛** هذا الأمر، أي توبته من الشرك لو كان وقع فيه، فدل على عدم وقوعه فيه.

الخامس: ذكر في آخر الآية: فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ، ولو كان المخاطَب آدم وحوَّاء **إ** لقال تعالى: (فتعالى الله عمَّا يُشرِكان).

على كُلٍّ؛ نفهم أنّ نسبة الشرك إلى الأبوين بهذا الحديث لا تصحّ، لا سندًا ولا متنًا، وما سبق من العِلل أيضًا يكفي في الدلالة على بُطلان هذا القول.

قد يقول قائل: إذن فما تفسير الآيتين؟

وللجواب عن ذلك يُقال: ذكر أهلُ العلم عدَّة تفاسير، منها:

١- قالوا: إنّ الآيتين متصلتان لفظًا منفصلتان معنًى، فالأولى خاصة بالأبوين، والثانية خاصة بذُرِّيتهما وما تناسل منهم، وبهذا التفسير يكون إبعاد الشرك عن الأبوين واجبًا.

٢- قال بعضُ أهل العلم: إنّ الشرك هنا شرك التسمية، ونخرج من كلّ الإشكالات هذه، وردَّ هذا قومٌ فقالوا: هذا لا يصحّ؛ لأنّ سياق الآيات يدُل على التشنيع العظيم لنوع الشرك الذي حصل.

وبكلّ حال يقال: الآيتان لا تدُلان على نسبة الشرك إلى الأبوين ـ حاشا وكلَّا ـ وإنما فيهما نسبة الشرك إلى ما كان من ذرِّيتهما ممَّن أشرك بالله وخالف هديه المستقيم(١).

---

(١) وللفائدة ينظر كتاب «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين أثابه الله تعالى (٣/ ٦٧-٦٨).

المسألة الرابعة:

نسمع كثيرًا ـ وهو مما شاع على ألسنة كثير من الناس ـ أنّ ابني آدم يُسمَّيان بـ«قابيل وهابيل»، مثل ما يُسمَّى ملَك الموت بـ«عزرائيل»، وقد يقول قائل: هذه أمورٌ فضلة لسنا بحاجة إليها... وهذا صحيح ... لكني أوردتها لأنّ أهل العلم أوردوها، ولأنه مما استقرّ في أذهان الناس، فينبغي أن يعرف الإنسان ما يتكلم به حتى لا يُخطِّئ إنسانًا يقول صوابًا أو يُصوِّب إنسانًا يقول خطأً.

فالمسألة هي: هل لهذه التسمية أصلٌ في الكتاب أو السنة؟

قال بعض أهل العلم: إنّ التسمية بـ«قابيل وهابيل» لم ترد في القرآن، إنما ورد ذِكر «ابنَي آدم»، وكذلك لم يثبُت في السنة مرفوعًا ـ على حسب العلم ـ صحَّةٌ لتسميتهما بهذين الاسمين، وإنما نُقِل عن علماء أهل الكتاب، وممن ينصُر هذا الرَّأي من المتأخِّرين الشيخ أحمد شاكر : .

وهناك من يقول بأنه قد ثبت عن بعض أصحاب النبيِّ ج ـ كابن مسعود وأبي هريرة ب ـ ذِكْر هذين الاسمين لابنَي آدم. قال: ولهذا إسنادٌ صحيح أو حسن عند ابن جرير[(١)]، وهؤلاء الصحابة الذين ذكروهما باسميهما لم يُعرَف أنهم يتلقون من أهل الكتاب، وعلى هذا فيُحمَل أنّ هذا أخذوه من لسان النبي ج، والله تعالى أعلم بالصواب.

المسألة الخامسة:

مما ذكر المفسِّرون ـ بل ذكره المؤرِّخون أيضًا ـ أنّ ذرية قابيل عبدوا النار[(٢)]، وهذا الكلام أبطله الحافظ ابن كثير وابن عُروة الحنبلي وجمعٌ من أهل العلم.

---

(١) «تفسير ابن جرير» (١٠/ ٢٠٦) تحقيق: أحمد شاكر.

(٢) قابيل هو القاتل كما جاء في الرواية، والمقتول هو هابيل.

قالوا: ومما يدُلّ على بطلانه ما جاء عن ابن عباس ب قال: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيِّين مُبشِّرين ومنذرين»[1].

قال ابنُ عُروةَ الحنبلي في «الكواكب»: «وهذا يرُدّ قولَ من زعم من أهل التاريخ من أهل الكتاب أنّ قابيل وبنيه عبدوا النار»[2].

المسألة السادسة:

مما يتعلق بآدم أخبارٌ تمُجُّها العقول ويُستثقَلُ ذِكرُها، لكن يشفعُ لي أنّ ابن القيِّم : ذكر أخبارًا في «المنار المنيف» وذكر أنّ العاقل يستحيي من إيرادها لولا أنها قد كثُرت في كتب المفسِّرين.

يُذكر في بعض كتُب قصص الأنبياء وكُتب التفسير أنّ القاتل من ابنَي آدم لما قتل أخاه حَرِجَ به وشقَّ عليه هذا الأمر، فحمل أخاه على كتفيه وأصبح يطوفُ هائمًا في البرِّية على وجهه حتى تعفَّن جسد أخيه وهو محتارٌ في أمره، وجاءت بعض الرِّوايات أنه مكث عامًا كاملًا يطوف به، فبعث الله غُرابًا فنقر في الأرض أو حفر في الأرض أمامه فأُلهِم بهذا العمل فحفر لأخيه حُفرةً فدفنه فيها.

قالوا: ولما علِم آدمُ ؛ بقتل ابنه لأخيه بكَى طويلًا، وقالوا ـ وهذا الكلام قد يكون مستشنَعًا لكن لا بُدّ أن نعرفه ـ: إنه رثى ابنَه بشيءٍ من الشِّعر فقال:

تغيَّرَتِ البلادُ ومَن عليها فوجهُ الأرضِ مُغْبرٌّ قبيح
تغيَّر كلُّ ذي لونٍ وطَعمٍ وقل بشاشة الوجه المليح

---

(١) أخرجه الطبري (٤/ ٢٧٥) تحقيق: أحمد شاكر، والحاكم (٢/ ٥٤٦-٥٤٧).

(٢) انظر: كتاب «تحذير الساجد» (ص١٤٧-١٤٨). وقد نبَّه الشيخ الألباني إلى أنّ ابن عروة الحنبلي وهم فعزى أثر ابن عباس السابق إلى «صحيح البخاري».

فردَّ عليه الشيطان:

تنحَّ عنِ البلاد وساكنيها فبي في الأرض ضاق بك الفسيح

العاقلُ إذا سمع هذا الخبرَ تمجُّه نفسُه ولو كان لا يعرِفُ الأسانيد، وقد بيَّن غيرُ واحد من المفسِّرين بطلانه من أوجه:

١- يكفي أن نعلم أنّ الله عندما ذكر في القرآن قصة القاتل قال: فَبَعَثَ ٱللَّهُ [1]، والفاء للتعقيب المباشر، فهذا يُبيِّن كذب القصَّة وأنه أصبح يطوف به هائمًا على وجهه مدّةً طويلةً.

٢- أنه ليس لها زِمام ولا خِطام، بل هي من أخبار بني إسرائيل، وهي أولى بالرَّدّ، بل ينبغي ردُّها؛ لأنها تخالف ظاهر القرآن.

أما ما ذُكر من نسبة الشِّعر إلى آدم ؛ فكما يُقال: بُطلانُه يُغني عن إبطاله وسُقوطُه يُغني عن إسقاطه، فلا زِمام ولا خِطام لها، ومقام الأنبياء لإ أعظم من قول الشِّعر ومن الجَزَع العظيم الذي وُصف به آدم ؛ .

***

(١) المائدة: ٣١.

نوح ؛

نوحٌ ـ عليه الصَّلاة والسلام ـ هو أوَّل رسولٍ إلى أهل الأرض، وبينَه وبين آدم ؛ ـ كما في «صحيح البخاري» عن ابن عباس ـ عشرةُ قرون.

وهو أوَّل أولي العزم من الرُّسل الذين ذكرهم الله لأ في سورة الأحزاب: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ صلى الله عليهم وسلَّم ـ.

وقد ذكر بعضُ أهل العلم فائدةً، وهي: أنّ أضرُب الابتلاءات والمصادمات من قوم نوحٍ لنوح ؛ تتمثل في أوجه خمسة:

١ - اتِّهامه بالجُنون، كما قال تعالى: كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ [(١)].

٢- اتَّهموه بكثرة الجدال العقيم، كما أخبر اللهُ عنهم: قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا [(٢)].

٣- اتَّهموه بالضلال: قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ [(٣)].

٤- توعَّدوه بالرَّجم: قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ [(٤)].

٥- التهكّم والسُّخرية وعدم الامُبالاة بنبيِّهم ؛ ، كما أخبر الله عنهم

(١) القمر: ٩.
(٢) هود: ٣٢.
(٣) الأعراف: ٦٠.
(٤) الشعراء: ١١٦.

بقوله: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾[1].

فهذه خمسة أنواعٍ من الابتلاء التي واجه بها قومُ نوحٍ نبيَّهم نوحًا ؛ .

المسألة الأولى:

عند قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾[2].

هذه الآية خاضَ في تفسيرها خائضون فذكروا كلامًا باطلًا مفاده: أنّ هذا الابن ليس من نسَب نوحٍ ؛ ؛ لأنّ امرأتَه خانتهُ في الفراش! واحتجُّوا بقوله تعالى في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[3].

ومن المعلوم أنّ الإنسان الذي يقول بلا علم يجمعُ ما يُؤيِّد كلامَه ولو كان الدليلُ خلافَه، وبكلّ حال إذا اجتمع فهمٌ سقيمٌ وخوضٌ فيما لا يعلم أُتي بالعجائب!

يُقال: تقرَّر بالإجماع ـ كما نقله غيرُ واحد ـ أنّ أعراضَ الأنبياء لإ محفوظةٌ ومعصومةٌ بحفظ الله تعالى لها؛ لمقام النبوة الشريف، وقد أُثِر عن غير واحد: ما زنت امرأةُ نبيٍّ قطّ.

---

(١) هود: ٣٨.

(٢) هود: ٤٥-٤٦.

(٣) التحريم: ١٠.

ومما يُستأنَس به في هذا المقام ما جاء في «صحيح البخاري»[(١)] في خبر هرقل الطويل لما قال هرقل يسألُ أبا سفيان: كيف نسبُه فيكم؟ قال: هو ذو نسَب فينا. قال: كذلك الرُّسل تُبعَث في نسب قومِها.

فيُستفاد من هذا أنّ نسب الأنبياء محفوظٌ شريفٌ مرفوعٌ لا يتدنَّس.

إذن؛ كيف تُخرَّج الآية؟

قالوا: إنه ليس من أهلك النَّاجين.

وقيل: ليس من أهلك الذين على دينك. ومما يُقرّب هذا: ما ورد في قراءة أخرى: ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمِلَ غَيْرَ صَـٰلِحٍ﴾، وعلى هذا فلا يكون هناك إن شاء الله إشكالٌ.

يبقى هنا إشكالٌ في امرأة لوطٍ ؛ ، فقد ذكر اللهُ أنها خانتهُ كما خانت امرأة نوحٍ نوحًا ؛ .

خيانة امرأة لوطٍ، قالوا: إنها كانت تدُلّ قومَه على أضيافه، وإنها كانت تتَّهمُه بالجنون كما كان قومُه يتَّهمونه بذلك.

وقالوا: الخيانة يجمعُها الخلاف في الدِّين أو المخالفة في الدِّين.

كذلك جاءت آيةٌ في سورة هود تشبَّث بها أيضًا بعضُ الجهَلة من الكُتَّاب، وهي أنه لما جاء أضيافُ لوط ؛ ودخلوا عليه جاء القومُ يُهرَعون إليه ومن قبلُ كانوا يعملون السيِّئات، فماذا كان قولُ لوط ؛ ؟ ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[(٢)].

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ٤٢- فتح الباري).

(٢) هود: ٧٨.

وقد ذكرَ بعضُ الناس أنه سمع شخصًا يتكلَّم وقال: من خطورة اللِّواط ما ذكرهُ اللهُ لأ على هذا النبيِّ أنه آثر الأمر الآخَر على اللِّواط!!

وهذا قولٌ خطير وعظيم.

على كلِّ حال؛ كما سلف: القاعدة العامَّة التي نسلم بها أنّ أعراض الأنبياء لإ محفوظة بالاتفاق، وليس هناك من خالف، ومن شذّ فلا حُكم له.

أما قوله: هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي [(١)] فلها عدّة تخاريج، منها:

١- أنّ لوطًا ؛ عرضَ عليهم بناتِه ليتزوَّجوهنّ زواجًا شرعيًّا، علَّ ذلك أن يكونَ كافًّا لهم ودرءًا ودافعًا لهم عن الشرّ.

٢- وقالوا بأنّ لوطًا ؛ هو أبو قومه، كما ورد في سورة الأحزاب: ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ [(٢)]، ففي بعض القراءات: (وهو أبٌ لهم). ومع كونها شاذّةً فإنه يُستأنَس بها، كما ذكر بعضُ أهل العلم في سبيل الاستدلال فقالوا: إنّ النبيّ يُعتبَر والد قومه من حيث القوامة والسِّيادة ومن حيث الأمر والنهي، فكأنّ لوطًا ؛ يقول: يا قوم هؤلاء بناتي خُذوا ما شئتُم من هذه القرية وانكحوهنّ نكاحًا شرعيًّا وكُفُّوا عن هذا الأمر العظيم الجسيم.

أختمُ هذه المسألة بآية قد يُشكِل معناها على بعض الناس، وقد ذكرها أهلُ العلم عند الكلام على حفظ الله لأعراض الأنبياء لإ ، وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب: يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ [(٣)].

---

(١) هود: ٧٨، الحجر: ٧١.

(٢) الأحزاب: ٦.

(٣) الأحزاب: ٣٠.

فأجاب أهل العلم عنها بجوابين:

الأول: المراد بالفاحشة في هذه الآية هو النُّشوز وسوء الخُلق مع مقام النبيِّ الكريم ج، وهذا واردٌ عن ابن عباس ب .

الثاني: ذكر ابنُ كثير أنّ هذا من قَبيل الشرط، والشرط لا يقتضي الوقوع، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[(١)]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(٢)]، ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[(٣)]. فلما كانت محنتهنّ رفيعةً ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهنّ مُغَلَّظًا؛ صيانةً لجنابهنّ وحجابهنّ الرَّفيع. اهـ.

على كلّ حال؛ يجب أن يُعلم أنّ أعراض الأنبياء لإ محفوظةٌ بحفظ الله لأ لهم وعصمته لهم، وأنّ ما سبق من الآيات في الخيانة يُحمل على الخيانة في الدِّين[(٤)].

---

(١) الزمر: ٦٥.

(٢) الأنعام: ٨٨.

(٣) الزخرف: ٨١.

(٤) وأجاد بعضُ أهل العلم في الكلام على خيانة امرأتي نوح ولوط لهما إ ، وذكر أدلةً ثمانيةً تُؤكّد أنّ الخيانة خيانة الدِّين، وخلاصة أدلته ما يأتي:

١- أنّ امرأة نوح كانت ترمي زوجَها بالجُنون وتُساعد قومها على إيذائه، وامرأة لوط تدُلّ قومَها على أضيافه، ولم يُنقل عنهما غيرُ ذلك.

٢- لو ثبت عليهما شيءٌ من الزِّنا لأسرعَ قومُهما إلى تعيير نبيِّهم بذلك.

٣- كيف يكون أهلًا للمسؤولية من يقع الزِّنا في بيته وهو لا يشعُر؟!

٤- أقبح عار يلحَق الرَّجُل وقوعُ الزِّنا في أهله، فكيف يُنسَب إلى رسولين كريمين؟!!

٥- لا يجوز أن يقع الزِّنا في بيت نبيّ يوحَى إليه ولا يُنبِّهُه الله ـ عليه، فالله تعالى غَيورٌ على محارمه لعوام الناس، فكيف يرضاها في بيت رسول يختارُه لدعوة الناس؟! =

المسألة الثانية:

أنّ نوحًا ؛ لما عاتبه ربُّه لأ حين سأَلَ عن ابنه، قال له: فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ [(1)].

ذكر كثيرٌ من المفسِّرين روايات مفادُها أنّ نوحًا بكى مدَّةً طويلةً، وزاد بعضُ المفسِّرين دون أن يُعقِّب: وبكى ما يقرب من ثلاثمائة عام! حتى ـ كما تقول تلك الرِّوايات الإسرائيلية ـ: إنّ العُشب نبتَ من دُموعه!

وهذه أخبارٌ كما قال الذهبيّ في كلام له: إنّ الحياءَ يمنعُ من ذِكرِها لكم، ولكنها مسطورةٌ في كُتب التاريخ وبعض كتب التفسير.

هذا الخبر المذكور: رواه الإمام أحمد في «كتاب الزهد» بإسناد صحيح إلى قائله، وهو وهيب بن الورد، ولكن يُقال: حتى إن كان الإسنادُ صحيحًا فهو ليس مرفوعًا إلى النبيّ ج، ووهيب قطعًا تلقّى هذا الخبر من الإسرائيليات، وعليه فهذا قولٌ يُرَدّ بلا شك؛ لأنه يُخالِف ظاهرَ القُرآن ويُخالف سمتَ ووقارَ الأنبياء، وهم أبعدُ الناس عن الجزَع والتسخُّط.

= ٦- أنّ من صفات الأنبياء: الفطنة والذكاء، والذي يقع في أهله الزِّنا أبعدُ الناس عن هذه الصِّفات.

٧- كُفر المرأة لا يلحق زوجَها العارُ بسببه؛ لأنّ منشأه عنادٌ في الرَّأي، بخلاف زِناها فهو عارٌ يشينها ويشين أهلها.

٨- في قوله تعالى: وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا [هود: ٤٢] دليلٌ قاطعٌ على أنه ابنه، وفي قوله تعالى: إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ [القمر: ٣٤] نسب الآل إليه وهنّ بناته، فدلّ على أنهنّ آله حقيقةً.

والخلاصة: أنّ ما نُسِبَ إلى امرأتي نوحٍ ولوطٍ من الزِّنا يُبطِله العقل ويرُدُّه النقل ويستقبحُه العُرف، وأنّ قائله خالف الدِّين وجانب الواقع وباينَ الذوق.

انتهى مختصرًا من كتاب «خواطر دينية» (ص٣٢-٣٤) تأليف: عبدالله بن محمد بن الصديق الإدريسي.

(١) هود: ٤٦.

المسألة الثالثة:

ما ذكره بعضُ المفسِّرين من ذِكر أوصاف سفينة نوح ؛ ، فذكروا من طولِها وعَرضها واختلاف طبقاتها، وذكروا ترتيب الطيور والحيوانات في كل قسم من أقسام السفينة...

فهذه الأخبار في جُملتها يقال عنها: اللهُ أعلم بصحَّتها.

والذي جاء في القرآن أنّ نوحًا ؛ صنع الفُلك بوحيٍ من الله لأ ، وحمَل فيه من كُلٍّ زوجين اثنين، وحمل فيه المؤمنين وأهلَه إلا من سبقَ عليه القول.

وأما ما ورد من أنّ الماعزَ استعصت الدخول فضربَها نوحٌ ؛ ، فبقيت عورتُها مكشوفةً! وأنّ الشاة دخلت بوقار فأصبحت مستورةً! فهذا الكلام تمُجُّه النفوس، لكن هكذا ذُكِر والعُهدة على من نقل.

المسألة الرابعة:

بعضُ المتقدِّمين صنَّفوا كُتبًا ورسائلَ فيها يُسمى بـ«عوج بن عنق»، وقالوا: إنّ هذا الرَّجُل كان موجودًا في زمن نوح ؛ وكان مُجاهِرًا بعِدائه له، وبلغ من جَبروته أنه تهكَّم بنوح ؛ وبسفينته، وكان ـ كما تقول الرِّواية ـ قد أوتي بسطةً في الجسم وعِظَمًا في الخِلْقة، حتى قالوا: إنه يصل إلى ما يقرُب من مائة ذِراع، وإنّ الطوفان ما أغرقه، وأنه كان يقول لنوح ؛ لما صنع سفينته: ما هذه القصعة؟! احتقارًا وازدراءً، وحتى ذكروا من أوصافه بأنه كان يأخذ السَّمكة من جوف البحر ويشويها في عين الشمس!

وهذه أمورٌ يستحيي الإنسان من ذِكرِها.

ورَدَّ عُلماء السنة والحديث خبر عوج بن عنق: بأنه باطل بالنقل والعقل:

أما النقل:

١- فإنّ الله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾[1] فلم يبقَ أحدٌ ممَّن عادى نوحًا ؛ إطلاقًا، فكلُّهم قد أهلكهم الله لأ .

٢- أنّ الله لأ خلق آدم ؛ على طول ستين ذِراعًا، فما زال الخلقُ ينقُص حتى الآن.

وأما من جهة العقل: فإنّ رَكاكة الخبر وسماجته تدُلّ على بُطلانه، وقد صنَّف السيوطي : رسالةً في كتابه «الحاوي للفتاوي»[2] سماها: «الأوج في خبر عوج» وبيَّن بُطلان هذه الرِّواية.

***

(١) الشعراء: ١٢٠.

(٢) (٢/ ٣٤١).

إبراهيم ؛

أُورِد هنا سبع مسائل:

المسألة الأولى:

أول ما يتبادر من سيرة الخليل ؛ فيما يتعلق بالحوادث: ما ابتلاه الله لأ به من ذَبح ابنه، والقصة معلومةٌ لدى الجميع، فقد جاءت في القرآن في سورة الصافات قال لأ : فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلۡمَنَامِ أَنِّىٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ [1].

فهذا الذبيحُ الذي أمر الله لأ إبراهيم ؛ بذبحه اختلف فيه أهلُ العلم على أقوال أربعة:

١- أنّ الذبيح هو إسماعيل.

٢- أنّ الذبيح هو إسحاق.

٣- أنّ الذبح وقع مرَّتين اثنتين: لهذا مرَّة، ولذاك مرّة.

٤- التوقّف، فمن أهل العلم من توقف عن الجزم وقال: الوقوف أسلم.

والصَّحيح الذي لا يعتريه شكّ ولا رَيب: أنّ الذبيح هو إسماعيل.

والذين قالوا: إنّ الذبيح هو إسحاق، لهم أدلة يُمكن إجمالُها في ثلاثة:

الأول: ما ورد في التوراة من قول الله لإبراهيم: (يا إبرام[2] خذ ابنَك

---

(١) الصافات: ١٠٢.

(٢) معلوم أنّ اسم إبراهيم في التوراة هو: إبرام.

ووحيدَك وبِكرَك إسحاق)، فقالوا: هذا نصٌّ في التوراة على أنّ الذبيح هو إسحاق.

الثاني: ما رواه الطبري في «تفسيره» عن العباس مرفوعًا: «**الذبيح إسحاق**».

الثالث: ما رواه الطبراني[1] عن أبي هريرة: «أنّ إسحاق لما تغشاه كربُ الذبح وكشف الله عنه ذلك قال الله له: يا إسحاق، سلْ تُعطَه».

ولهم أحاديثُ في هذا المضمون.

يُجاب عن هذه الأدلة فيُقال:

أولًا: أما زعمُهم بأنّ ما في التوراة من التصريح بأنه إسحاق فيردّ عليهم بأنّ التوراة محرَّفة ولا يُحتجّ بما فيها، وهذا النص قد حرَّفته اليهود قصدًا، كما قال ابنُ تيمية : [2]: «وفي توراتهم المحرَّفة ما ينقُض تحريفهم هذا»، فهم قالوا: بأنّ هاجر لما ولدت إسماعيل كان عُمر إبراهيم ٨٦ سنةً، وبعده قالوا: لما كان لإبراهيم مائة سنة وُلد إسحاق.

فعلى هذا يكون إسماعيل أكبر من إسحاق بأربع عشرة سنةً كما في توراتهم، ويكون البِكر هو إسماعيل وهو الوحيد أيضًا إن كان الذبح قبل ولادة إسحاق.

ثانيًا: وحديث العباس الذي احتجُّوا به على أنّ الذبيح هو إسحاق فيه علتان شديدتان:

١- رجُل اسمُه الحسن بن دينار، وهو متروك.

٢- رجُل اسمه علي بن زيد بن جدعان، وهو منكَر الحديث.

---

(١) في «المعجم الأوسط» (٧/ ١٠٧).

(٢) وانظر كذلك كلام ابن القيّم : .

ثالثًا: وأما الحديث الآخَر عن أبي هريرة ففي إسناده رجل اسمه عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم، قال عنه البخاري: منكَر الحديث.

ولهم أحاديثُ رواها الديلمي وغيرُه، ولكن مجموعها لا يرتقي إلى درجة الثبوت، فضلًا عن أن يبلغ درجة الاحتجاج.

وذكر ابنُ القيّم في «زاد المعاد»(١) أنّ القول بأنّ الذبيح هو إسحاق باطلٌ من عشرين وجهًا.

ومما يؤيِّد أنّ الذبيح هو إسماعيل:

١- أنّ القرابين تُذبَح في مكّة ـ شرَّفها الله ـ وهو موطن إسماعيل، وإسحاق وأمّه كانا في الشام.

٢- وصف الله إسماعيل بالحِلم في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ﴾(٢)، وهذه الصِّفة ناسبت أن يكون هو الذبيحَ؛ لأنّ من ابتُلي بذلك الموقف فلا بُد له من حِلم كحِلم الجبال؛ لأنّ الموقف جَلَل وخطير.

المسألة الثانية:

ما ذُكر في سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾(٣)، حيث جاء في بعض التفاسير أنه لما أمر الله ﻷ نار إبراهيم أن تكون بردًا أصبحت كلّ نيران الدنيا بردًا اقتداءً بنار إبراهيم!

وهذا كلامٌ باطل؛ فالنار التي خُصَّت في الآية مُعيَّنة، وهي نار إبراهيم،

---

(١) (١/ ٧١).

(٢) الصافات: ١٠١.

(٣) الأنبياء: ٦٩.

والخطاب مقصورٌ عليها، وقدرة الله على كلّ شيء، لكن لما جاء الخطاب والأمر لهذه النار بعينها فلا يتعدى لغيرها، والذي يقول خلاف هذا القول فعليه الدليل.

المسألة الثالثة:

ما ذكره الله تعالى عن إبراهيم ؛ حيث قال أ : وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي [1]، ومما يُعاب على بعض الناس أنه إذا قرأ هذه الآية قد يقول: هذا خليل الرَّحمن الذي سمَّاه الله حنيفًا، وهو أبو الأنبياء لإ ، وصاحب الصَّبر، والذي ابتُلي في نفسه وفي ولده، وابتُلي من قِبَل أبيه وقومه، أيقول هذا؟!

وقد يَكبُر هذا الإشكال عند بعض الناس حينما يقرأ ما ورد في «صحيح البخاري» مرفوعًا إلى النبيِّ ج أنه قال: «**نحنُ أحقّ بالشكّ من إبراهيم**».

ولكن الأمر واضحٌ ـ والحمد لله ـ كالشمس بالنهار ليس دونَها سحاب.

ففي سؤال إبراهيم ؛ لربِّه لأ قال: رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ ، فإبراهيم ؛ مؤمنٌ إيمانًا كاملًا، وإيمان الأنبياء لا يُقاس به إيمانُ غيرهم، ولكنه أراد أن يتنعم بذلك بالبصر، فكما آمن إيمانًا يقينيًّا أراد أن يرى ذلك بعينه، ورؤية البصر أبلغُ من السماع.

وكما ورد عند الإمام أحمد أنّ النبيَّ ج قال: «**ليس الخبر كالمعاينة، إنّ الله لأ أخبر موسى بما صنع قومُه في العجل فلم يُلقِ الألواح، فلما عاينَ ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت**».

---

(١) البقرة: ٢٦٠.

بل إنّ في القرآن ما يُبطِل قول من قال ذلك القول الباطل، فإبراهيم يقول للنمرود: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ (١)، وهو متأكد ومتيقّن، فقال له النمرود: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾ (١)، وكما جاء في بعض الروايات أنه أحضر رجُلين فقتل أحدَهما وأطلق الآخَر، عندها تنزَّل إبراهيم ؛ وترك هذا الدليل لعلمه أن سيورد دليلًا على النمرود لا يكون للاحتيال فيه مجال فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ (١). ولعلم إبراهيم ؛ أنه لو استطاع أن يُخادع أو يقنع من حوله في الإحياء والإماتة فإنه لن يستطيع هنا البتة.

وعلى هذا؛ فيكون معنى الحديث: نحن أحقّ بالشك من إبراهيم لو كان إبراهيم شاكًّا، فإذا لم نشُكّ نحن فإبراهيم ؛ أبعدُ منا عن الشك، فيكون طلب إبراهيم ربَّه ليريه إحياء الموتى من باب الرُّؤية البصرية؛ لأنها أبلغ في الدلالة.

فائدة في قوله تعالى: ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾:

ذكر ابنُ حجر نقلًا عن القرطبي أنّ للصوفية تفاسيرَ باطلةً مستهجَنةً نعرضُها حتى نُبيِّن بُطلانَها.

قالوا: إنّ إبراهيم ؛ كان له صاحبٌ اسمه «قلبي»، وكان معه فخشي إبراهيم ؛ أن يشُكّ صاحبُه فأراد الله أن يُريَه الآية حتى يطمئنّ صاحبُه!

وهذا الكلام ممجوج ترفُضه الفِطَر والعقول السَّليمة.

والتفسير الآخَر الباطل عند الصوفية قولهم: إنّ إبراهيم ؛ طلب من ربِّه أن يُريه كيف يحيي اللهُ القُلوب! وهذا باطل.

---

(١) البقرة: ٢٥٨.

المسألة الرابعة:

في سورة الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾[(١)]. ذكر بعضُ المفسِّرين أنّ آزر اسمٌ لصنم وليس اسمًا لوالد إبراهيم ؛ ، وقالوا: إنّ تقدير الآية: وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر آلهةً من دون الله!

وذكر بعضُ المفسِّرين أنّ اسم والد إبراهيم ؛ : تارة، وقيل: تارخ، وذكروا أقوالًا كثيرةً كلّها ضعيفة.

والصواب: أنّ آزر اسم والد إبراهيم ؛ ؛ لصريح القرآن، ولما رواه البخاري في «الصحيح» من قول الرَّسول ج: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قَتَرة، فيقول إبراهيم: ألم أقُل لكَ لا تعصني؟ فيقول: يا إبراهيم، فاليوم لا أعصيك**».

فهذان نصَّان صريحان من الكتاب والسنَّة[(٢)].

المسألة الخامسة:

ما ذكره البغوي في «التفسير» وأشار إلى ضعفه ـ كما نقله الشيخ الألباني ـ: أنّ إبراهيم ؛ لما رُمي في النار قابله جبريل ؛ فسأله فقال: ألا تدعو ربَّك؟ ـ أو ألا تسألُ اللهَ شيئًا؟ ـ، فقال إبراهيم ؛ ـ كما كُذب عليه ـ: حسبُه من سُؤالي عِلمُه بحالي.

وهذه قاعدةٌ عريضة عند الصوفية، فإنهم يقولون: لا ينبغي للوليّ أن يدعوَ

---

(١) الأنعام: ٧٤.

(٢) أفرد الشيخ أحمد شاكر في كتابه «كلمة الحق» (ص٣٠٢) رسالة بعنوان: «آزر، تحقيق أنه اسم أبي إبراهيم ؛ ».

الله، فالله أعلمُ بحاله وما ابتلاهُ إلا لحكمة، ولا ينبغي له أن يرفعَ يديه بالدُّعاء فالله أعلمُ عندما ابتلاه!!

وهذا كلامٌ خطيرٌ كُفريّ؛ لأنّ الأنبياء لا كلَّهم قد دعَوا ربَّهم لا وسألوه وتضرَّعوا إليه.

على كلّ حال؛ هذه الجملة من الإسرائيليات عدَّها شيخ الإسلام ابن تيمية موضوعةً مكذوبةً.

المسألة السادسة:

ذكر الله تعالى في سورة الأنعام[1] أنّ إبراهيم ؛ جادل قومَه وتنزَّل معهم أنّ الكوكب إله، ثم لما أفل قال: القمر، فلما أفَلَ قال: الشمس، فلما أفلت... إلى أن أقرَّ وأخبرهم بأنّ كلَّ ما يعبُدونه من دون الله فهو باطل.

يُستَشكل فيقال: هل هذا شكٌ من إبراهيم ؛ أم ماذا؟

ذكر ابنُ كثير أنهم اختلفوا في هذه الآية: هل هي في مَقام النظر أو في مقام المناظرة؟

في مقام النظر يعني: ليس متأكِّدًا بل يبحثُ عن الحقّ، أو أنه في مقام المناظرة وأنه متأكد وقاطعٌ أنّ الله هو الرّبّ وأنّ هذه الكواكب إنما هي مخلوقات لله، ولكن على سبيل التنزُّل نزل بهم درجةً درجة حتى نسفَ حُجَّتَهم وجعلهم يقتنعون بأنّ هذه الكواكب باطلة في عبادتهم لها.

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الآيات: ٧٦-٧٨].

والصواب كما تقدم من الآيات: أنّ إبراهيم ؛ لم يُداخله شكٌّ ولا أدنى مثقال ذرَّة من ريبة، بل إنه في هذه الآية في مقام المناظرة وليس في مقام النظر.

ومما يدُل أنّ إبراهيم ؛ في مقام المناظرة:

أولًا: قول النبيّ ج: «**كُلّ مولودٍ يولَد على الفطرة..**»، وإبراهيم ؛ أبو الحُنفاء.

ثانيًا: أنّ الله **لأ** في القرآن نفى عن إبراهيم ؛ الشِّرك، فقال تعالى: حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ [1]. ويقولون: نفيُ الكون يستغرق جميعَ الزَّمن، فلم يُداخلْ إبراهيمَ ؛ شيءٌ مما ذكروا البتَّة.

ثالثًا: أنّ سياق الآيات في سورة الأنعام بعد سياق هذه المناظرة يدُلّ على أنّ إبراهيم ؛ استعمل أسلوب التنزُّل حتى يكون ذلك أبلغَ في دحض حُجَّة الخصم؛ لأنه قال: أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ الآية[2]، ولا يقول هذا الكلام إلا شخصٌ قد استقرَّ قلبُه على قاعدة التوحيد.

وممَّن نصر هذا القول: ابنُ تيمية، وابنُ القيِّم، وابنُ كثير ـ رحمهم الله تعالى ـ.

***

---

(١) البقرة: ١٣٥.

(٢) الأنعام: ٨٠.

إسماعيل ؛

شاعَ عند بعض العامَّة أنّ عين زمزم إنما خرجت وأجراها الله لأ بعد أن حرَّك إسماعيل ـ وهو الرَّضيع ـ رجليه من شِدَّة العطش.

وهذا الخبر لا يصحّ، بل هو يُخالف ما ثبت في النصّ الصَّريح الصَّحيح، كما رواه البخاري: أنّ هاجر ' عندما جعلها إبراهيم ؛ في مكة مع ابنها نفد الماءُ وما كان معهم من الطعام... إلى آخر القصة، وفيها: أنها سمعت صوتًا فقالت: أَغِثْ إن كان عندَك خيرٌ.

قالت الرواية: فإذا جبريل ؛ فغمز الأرض بعقبه. وقيل: هزم الأرض بجناحه. وقيل: ركض الأرض برجله فأنبع اللهُ ماءَ زمزم.

ولهذا كان من أسماء ماء زمزم: «هزمة جبريل»[1]، أو «ركضة جبريل».

وعلى هذا يتبيَّن أنّ هذا هو السبب الصحيح في إجراء الماء من زمزم؛ لأنّ الله تعالى جعل جبريل ؛ سببًا في إخراجه بغمزه الأرض.

***

(١) انظر: «زاد المعاد» (٤/ ٣٩٢).

صالح ؛

هناك مسألتان تتعلقان بصالح ؛ فأحببت أن أذكرَهما حتى تكونا إكمالًا للموضوع:

المسألة الأولى:

نسمعُ كثيرًا عن مدائن صالح التي في طريق العُلا عندنا في بلادنا، مما استقرّ في النفوس أنّ صالحًا المنسوبة إليه هو النبيّ صالح ؛ ، لكن أوقفني بعضُ الإخوة على كلامٍ لابن ناصر الدِّين الدِّمشقي في «توضيح المشتبِه»[1]، حيث نقل كلامًا عن البِرزالي قال: «ومدائن صالح التي بالقُرب من العُلا في طريق الحاجّ من الشام بلد إسلامي، وصالح المنسوبةُ إليه من بني العباس بن عبدالمطّلب، وفيها قُبورٌ عليها نصائبُ تاريخُها بعد الثلاثمائة».

هذه المدائن كانت بقُرب حِجر ثمود، فالمدائن فنيت وزالت أطلالُها فسُحِبت التسمية إلى الحِجْر فقالوا: مدائن صالح، والصحيح: أنّ الاسم الشرعي لمكان صالح هو «الحِجْر»، كما جاء في القرآن: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2].

المسألة الثانية:

ما ذكره غيرُ واحد من المفسِّرين أنّ قومَ صالح ؛ لما عاقبهم الله لأ لم ينجُ منهم إلا من آمن مع صالح، وكان رجُلٌ من قوم صالح الكفرة قد ذهبَ

---

(١) (٨/ ٩٧).

(٢) الحجر: ٨٠.

للحرم لما نزلت الصيحةُ والرَّجفة بقومه، فلما خرجَ ذلك الرَّجُل من الحرم أتاه حجرٌ فقتله في مكانه.

وقد روى أبو داود في «السنن» في آخر كتاب الخَراج آخر حديث عن عبدالله ابن عمرو ب قال: كنا مع النبيّ ج لما مررنا بالطائف قال: «**هذا قبرُ أبي رغال**»، فسألوه: من أبو رغال؟ فقال: «**رجُلٌ لاذَ بالحَرَم من ثمود، فلما خرج من الحرَم أصابه ما أصاب قومَه، وهذا قبرُه ومعه عرق من ذهب فإن شئتُم أصبتُموه**»[1]. فنبشوا القبر فوجدوا عرقًا من ذهب.

هذا الحديث يُذكَر عند إهلاك الله لقوم صالح ؛ ، لكنه حديثٌ لا يصحّ، فهو ضعيف.

وذكروا أيضًا خلافًا في أبي رغال بين المؤرِّخين والمفسِّرين، فلو صحّ الحديث لكان حُجَّةً وانتهى الإشكال، لكن اختلفوا:

فمنهم من قال: هو الذي قاد الحبشة إلى مكة.

ومنهم من قال: إنه كان عبدًا لشُعيب ؛ ، وكان عَشَّارًا يأخُذ المكوس على السِّلع.

ومنهم من قال: كان من قوم لوط ؛ ، لكنه خان... إلخ.

وفي بعض الكتُب: أنّ الإمام المزِّي حسَّن هذا الحديث وقال: حسنٌ عزيز، لكن ابن كثير أورد في «التفسير» اعتراضًا على صحَّة هذا الحديث وقال: لم يرفعه إلى عبدالله بن عمرو إلا رجُلٌ اسمه بجير بن أبي بجير، وهذا الرَّاوي قال الذهبي: إنّ ابنَ معين يقول: إنّ هذا الرَّجُل لم يُعرَف له سماعٌ إلا من حديث إسماعيل بن أمية. فالذهبي لما رأى أنّ ابنَ معين قد حكم على هذا الرَّاوي أنه لا يُعرف له سماعٌ إلا من طريق إسماعيل بن أمية قال: فلعل بجيرًا سمع هذا الحديث من عبدالله

---

(١) «سنن أبي داود» (٣٠٨٨).

ابن عمرو، وقد رواه ابن عمرو من أخبار الإسرائيليين فوهم فيه بجير ورفعه إلى النبيّ ج.

قال ابنُ كثير: وقد عرضتُ ذلك على شيخنا المزِّي فقال: ذلك محتمل، يعني: الأقرب أنه لا يصحّ.

***

يوسف ؛

نذكر هنا بعض المسائل والفوائد المتعلقة بيوسف ؛ :

المسألة الأولى:

في أول السورة حيث قال تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ [1].

المتبادر من هذه الآية ـ فيما يفهمُه بعض الناس ـ أنّ قصة يوسف أحسن قصة في القرآن الكريم.

وقد ذكر ابنُ تيمية ـ في كتاب «جواب أهل العلم والإيمان فيما أخبر به رسول الرَّحمن من أنّ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ تعدِل ثُلث القرآن» ـ أنّ هذا القول ليس بصواب، وذكر أنّ قصة موسى ؛ وما فيها من الابتلاء ومن جهاد فرعون وقومه أفضل من قصة يوسف ؛ بمرَّات كثيرة، ولهذا تكرَّرت قصة موسى وقصة هود وقصة إبراهيم وقصة آدم ـ لإ ـ ولم تتكرَّر قصة يوسف ؛ ، بل ذكرها الله لأ مرَّةً واحدة، وإذا كان كذلك فعلى ماذا تُفسَّر الآية السابقة؟

قالوا: لها محملان:

١ - أنّ المراد بـ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ جميع قصص القرآن، فيكون معنى الآية: نحنُ نقُصُّ عليك في هذا القرآن أحسن القصص.

٢ - أنّ المراد بأنّ قصة يوسف أحسن القصص في مقامها، فلو سأَلَ سائلٌ: ما

---

(١) يوسف: ٣.

أحسنُ قصة في فتنة النِّساء وفي جهاد النفس؟ فيكون الجواب: أحسن قصةٍ قصةُ يوسف ؛ . ولو سأل سائل: ما أحسنُ قصَّة في حرب الأصنام وفي الصَّبر على ابتلاء أهل الأصنام وفي تحمُّل العذاب والهجرة وترك البلاد؟ لقيل: قصة إبراهيم ؛ ، وهكذا...

المسألة الثانية:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[1].

من المعلوم أنّ همَّ امرأة العزيز كان بالفاحشة بلا إشكال، لكن يبقى هنا إشكالٌ وهو: ما المراد بهَمِّ يوسف ؛ ؟ يمكن تخريج الأقوال على أقوال ثلاثة:

١- وهو باطل من أصله: أنه هَمَّ بها كما همَّت به، وهذا القول باطلٌ لا يُلتفَت إليه.

٢- أنّ الهمَّ الذي صدر من يوسف ؛ كان ميلًا طبيعيًّا للنساء، كما أنّ الصائم يميل إلى الماء لكن ما يتوجَّه إليه ولا يشربُه، لكن ميل غريزة وطبيعة في الرِّجال تُجاه النساء. وهذا ما اختاره الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

٣- أنه لم يكن هناك هَمٌّ أصلًا، فإن قال قائل: كيف يكون ذلك وقد صرَّح الله بالهَمِّ في القرآن؟! ذهب إلى هذا المذهب بعضُ أهل اللغة، والشيخ الشنقيطي ممَّن يرى هذا القول.

قال أصحاب هذا القول: إنّ يوسف ؛ لم يَهُمَّ البتة بامرأة العزيز.

قالوا: ومما يُقرِّب هذا ما أخبر الله به عن أمِّ موسى في سورة القصص: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَـٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾[2].

---

(١) يوسف: ٢٤.

(٢) القصص: ١٠.

قالوا: فتقدير الآية: لولا أن ربطنا على قلبها لَأَبدت به، لكن لَمَّا ربطنا على قلبها لم تُبدِ به. فيكون تقدير الآية في سورة يوسف ؛ : لولا أن رأى بُرهان ربِّه لهمَّ بها، لكن لما رأى برهان ربِّه لم يَهُمَّ بها البتَّة. وقد خرَّجه أهل اللغة على تقديم خبر «لولا».

والأقرب: أنّ ظاهر الآية يُفيد أنّ يوسف ؛ همَّ، وقد برَّأه الله من همِّ السُّوء، ولكن الهمَّ الطبيعيّ لا يَسلمُ منه أَحَد.

المسألة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[1].

جاء في البرهان أقوال كثيرة، لكن الشنقيطي ذكر أنه لم يأت دليلٌ صحيح صريح بذِكر نوع هذا البرهان، وإنما ورد في ذلك إسرائيليات وأخبار لا تصحّ، وعلى هذا فيكون أمرُ البرهان ـ كما قال القرطبي وغيرُه ـ أمرًا أخفاه الله ﻷ ، أي: أخفى نوعَه لكنه ذكره، فهناك برهانٌ رآه يوسف ؛ ، وأما ما نوع هذا البرهان؟ فنقول: علمُه عند ربِّي.

وبعضُ العلماء يقولون: هذا البرهان هو ما أودعه الله ـ في قلوب الأنبياء ﻹ من الخشية والخوف والرَّهبة من الله ـ .

المسألة الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[2].

هذا الشاهد كثُر فيه الكلام وجاءت فيه أقوال، منها:

الأول: أنّ المراد خلق من خلق الله ليس بإنس ولا جان، وهذا القول

---

(١) يوسف: ٢٤.

(٢) يوسف: ٢٦.

لا يصحّ؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[١]، فأثبت أنّ الشاهد من الإنس.

الثاني: قالوا: إنّ الشاهد هو القميص، وهذا يَرُدُّه ظاهرُ الآية.

الثالث: منهم من قال: إنّ الشاهد هو طفلٌ صغير أنطقه الله في المهد، واحتجَّ أرباب هذا القول بحديث: «**لم يتكلم في المهد إلا ثلاثةٌ: صاحب جُرَيج، وعيسى، وشاهد يوسف**»، لكن هذه الزِّيادة «**وشاهد يوسف**» لا تصحّ[٢]، وعلى هذا فيضعف هذا القول.

الرابع ـ وهو أصحّها ـ: أنّ الشاهد من أهل المرأة، وكان عاقلًا في إدلائه بشهادته كما قصَّ الله ﷻ علينا.

المسألة الخامسة:

من النكت التي يذكرُها بعضُ أهل العلم أنهم قالوا: إنّ الله ﷻ قد برَّأ يوسف ؛ من تُهمة الفاحشة بستّ شهادات:

١- شهادة يوسف ؛ لنفسه عندما قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٣].

٢- شهادة امرأة العزيز حيث قالت عن نفسها: ﴿أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٤].

---

(١) يوسف: ٢٦.

(٢) انظر: «السلسلة الضعيفة» (٢/ ٢٧١).

(٣) يوسف: ٣٣.

(٤) يوسف: ٥١.

٣- شهادة النِّسوة: ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾[(١)].

٤- شهادة الشاهد من أهلها: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[(٢)]. فثبت أنّ الحقّ كما قال يوسف ؛ .

٥- شهادة العزيز زوج المرأة، حيث قال: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[(٣)].

٦- شهادة الله لأ ـ وهي خيرُ شهادة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ ـ حيث قال عن يوسف ؛ : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[(٤)].

المسألة السادسة:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[(٥)].

أشار ابنُ كثير إلى فهمٍ مرجوحٍ في مرجعِ الضَّمير في قوله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ، حيث ذهب بعض المفسِّرين ـ وهم قِلّة ـ إلى أنّ المراد به يوسف ؛ ، وهذا الفهم مرجوح، والصواب من سياق الآيات: أنّ المراد به صاحب السِّجن أو ساقي الملِك.

(١) يوسف: ٥١.
(٢) يوسف: ٢٦.
(٣) يوسف: ٢٩.
(٤) يوسف: ٢٤.
(٥) يوسف: ٤٢.

المسألة السابعة:

إخوة يوسف ؛ هل هم أنبياء أم لا؟

ذهب بعضُ أهل العلم إلى أنهم أنبياء، واحتجُّوا بقوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾[1]. فقالوا: هذا دليلٌ على أنهم من الأنبياء، وقد صرَّح الله لأ بأنه قد أنزل عليهم عندما قرنهم بالأنبياء المذكورين في الآية.

والصحيح: أنهم ليسوا بأنبياء، ومن الأدلة على ذلك:

١- أنّ الأصل عدم نبوَّتهم؛ لأنّ النبوّة لا تأتي إلا بدليل.

٢- وأما قولهم بأنهم المرادون بـ«الأسباط» فهذا قولٌ غير صحيح، فالأسباط هم الذين كانوا في عهد موسى ؛ ، وقد قال الله لأ عنهم: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ﴾[2]. وعلى هذا فلا يكون في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ...﴾ الآية متعلّق لمن قال: إنّ إخوة يوسف من الأنبياء.

٣- أنّ ظاهر القرآن وما أخبر الله عنهم في القرآن لا يدُل على نبوَّتهم، فإنّ أعمالهم التي قاموا بها وتصرُّفاتهم التي فعلوها لا تليق بالصَّالحين فضلًا عن أن تكون لائقةً بنبيّ أو أنبياء من أنبياء الله لإ .

٤- ورد في «صحيح مسلم» أنّ النبيَّ ج قال: «**الكريم بن الكريم بن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**». ولو كان إخوته أنبياء

---

(١) البقرة: ١٣٦.

(٢) الأعراف: ١٦٠.

لشاركوه في هذا الكرم، فدلّ ذلك على أنه اختصَّ بهذا الوصف دون إخوته.

٥- أنّ الله ﻷ أخبر أنّ أهل مصر لم يأتهم نبيٌّ من قبل موسى ؛ ، كما قال موسى ؛ يُخاطبهم: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾[1]. ولو أنّ إخوة يوسف ؛ أنبياء لذكرهم موسى ؛ في قوله هذا.

وعلى كلٍّ؛ فهناك جواب لشيخ الإسلام ابن تيمية على هذه المسألة قرَّر فيه أنّ إخوة يوسف ؛ ليسوا بأنبياء على القول الصحيح الذي تدعمُه ظواهر النصوص[2].

المسألة الثامنة:

مما يتعلق بقصة يوسف ؛ في آخر السورة أنه لما أن ذهب إخوة يوسف بقميصه إلى أبيهم وألقاه البشير على وجهه وارتدّ بصيرًا ذكر الله أنهم ارتحلوا مع والدهم ودخلوا على يوسف ؛ ... إلى أن قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ﴾[3].

هناك من أهل العلم من يقول: إنّ السجود المذكور في سورة يوسف هو الانحناء وليس هو السجود بمعنى الخُرور إلى الأرض، لكن الصواب أنهم سجدوا سجودًا كاملًا حقيقيًّا.

---

(١) غافر: ٣٤.

(٢) انظر: «الحاوي للفتاوي» للسيوطي (١/ ٣١٠) فيه رسالة بعنوان: «دفع التعسُّف عن إخوة يوسف»، وذكر في آخرها أنّ الكلام منقول عن ابن تيمية ـ رحمهما الله تعالى ـ.

(٣) يوسف: ١٠٠.

ومما يدُل على هذا ثلاثةُ أمور:

١- ظاهر اللفظ، فالتصريح بالسُّجود ينصرف إلى السجود الحقيقي.

٢- في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾، والخرور لا يكون إلَّا من أعلى إلى أسفل.

٣- أنّ هذا الأمر كان جائزًا في شريعتهم؛ لذا ورد في الحديث أنّ معاذَ بن جبل ا لما قدم سجد للنبيِّ ج فقال: «**ما هذا يا معاذ؟**»، قال: يا رسول الله، رأيتُهم يسجُدون لملوكهم وأنت أحقّ. قال: «**لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجُد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجُد لزوجها**»[1].

***

(١) أخرجه الإمام أحمد.

موسى ؛

هناك مسائل وفوائد متفرِّقة حول نبيِّ الله موسى ؛ ، منها:

المسألة الأولى:

أنّ في دمشق مسجدًا يُسمَّى «مسجد القَدَم» يزعُمون أنّ موسى ؛ وطئ صخرةً فظهرت علامةُ قدَمِه بتلك الصَّخرة فسُمِّي ذلك المسجد بـ«مسجد القدم».

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: «وهذا باطلٌ كذب؛ لأنّ موسى ؛ لم يقدَم دمشقَ ولا ما حولَها».

المسألة الثانية:

ذكر الله لأ أنّ في لسان موسى ؛ لكنةً، كما في سورة طه: وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي [(١)]، وكما في سورة القصص: وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانًا [(٢)]، وفي سورة الزخرف ذكر شماتة فرعون بموسى: أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٌ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ [(٣)].

لكن بعضهم ذكروا روايةً، وهي: أنّ موسى ؛ كانت في لسانه لكنة وأنّ السبب في ذلك أنّ فرعون أراد قتلَه؛ لأنه خشي أن يكون هذا الوليد ممَّن يَسقط

(١) طه: ٢٧-٢٨.
(٢) القصص: ٣٤.
(٣) الزخرف: ٥٢.

مُلكه على يديه كما تنبَّأ له المنجِّمون، فوضعوا له تمرةً وجمرةً، والحاصل كما ذكرت الرواية: أنّ موسى أخذ الجمرة ورفعها إلى فيه ووضعها بين شفتيه، فلما شعر بِحرارتِها ألقاها بعد أن أثّرت في لسانه.

لكن هذا الكلام باطلٌ بالعقل والنقل:

أما من النقل: فلا يصحّ سندُه، وغاية ما فيه آثارٌ ليس لها زِمام ولا خِطام، والغالب أنها إسرائيليات.

وأما من العقل: فإنّ الرَّجُل القويّ الشديد لا يستطيع أن يلمس الجمرة فترةً يسيرةً، فضلًا عن أن يحملها في كفِّه ثم يرفعُها فيضعُها في مكانٍ حسَّاس وهو على اللِّسان!! فالطفل من باب أولى ألَّا يقرَبها، وعلى هذا فقد تكون تلك اللكنة خِلقةً في موسى ؛ ، أو لسبب عَرَض له لم يذكره الله لأ لنا، ولا يترتَّب على ذلك فائدة.

المسألة الثالثة:

جاء في كثير من التفاسير أوصاف عصا موسى ؛ ، فمنهم من يقول: إنها من آس الجنّ، ومنهم من يقول: إنها من شجر اسمه كذا وصفتُه كذا، وهذه كلّها أمورٌ ظنِّية، ويكفي أن يُقال: أخبرنا الله أنّ لموسى ؛ عصًا وأنه لأ أجرى عليها أمورًا عظيمةً، ولا يهمُّنا من أيّ شيء كانت.

المسألة الرابعة:

ذكر بعض المفسِّرين ـ ومنهم ابن جرير ـ أنّ موسى ؛ في آخر عُمره تحوَّلت النبوَّة منه إلى يوشع بن نون، فكان موسى ؛ يسأل يوشع عمَّا نزل من الأمر والنهي، فقال يوشع: يا كليمَ الله، عندما كنتَ نبيًّا لم أسألك، فهناك ضاق صدرُ موسى ؛ ففضَّل الموت على الحياة!

قال الحافظ ابن كثير: «والغالب أنّ هذا مما تُلقّي من الإسرائيليات».

ومما يدُل على بطلانه: أنّ الله لأ أرسل إلى موسى ؛ ملَك الموت ليخيِّره بين الحياة والموت، وهذا كان في آخر وقت موسى ؛ ، فدلّ على أنّ الوحي كان ينزل عليه إلى آخر حياته، وكذلك لم يُعلم من حكمة الله ـ أن يقطعَ وحيًا عن أنبيائه أو أن يعزل نبيًّا عن وظيفة النبوَّة بعد أن أوحى إليه شيئًا من وحيه، والأصل بقاء النبيّ على حاله حتى يأتي دليلٌ صحيح ينقُض ذلك.

وقد ذكروا أنّ هذا الأثر رواه ابنُ إسحاق صاحب «السيرة» ولعله تلقاه من الإسرائيليات.

المسألة الخامسة:

في سورة الأعراف قال الله تعالى: وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ... الآية[1].

ذكروا أنّ موسى ؛ لما طلب رؤية ربِّه أ أرسل إليه ملائكةَ السماء الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة، وذكروا أنّ موسى ؛ أخذته رعدةٌ وأخذته غشية عظيمة لما رأى من مخلوقات الله تعالى.

وذكروا أيضًا عند قوله تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا [1] أنّ الجبل تفرَّق ستّ فرق: ثلاث في المدينة، وثلاث في مكة، وكان في المدينة: رضوى، وورقان، وأُحُد، وكان في مكة: ثور، وحِراء، وثَبير.

هذا الكلام وما قبله لا يصحّ البتَّة، بل إنّ الكلام الأوّل عند قوله تعالى: قَالَ لَن تَرَىٰنِى [2] مما يدندن به المعتزلة؛ لأنه ينصُر مذهبَهم في عدم رؤية الله تبارك وتعالى.

---

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) الأعراف: ١٤٣.

والصواب: ما عليه أهلُ السنَّة والجماعة من إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة كما دلّت على ذلك آياتٌ من الكتاب العزيز وتواترت به أحاديث المصطفى ج.

وأما استدلالُهم بالآية فيُجاب عنه من وجهين:

١ - أنّ «لن» لا تُفيد النفي المؤبَّد، كما قال ابنُ مالك:

ومن رأى النفي بـ«لن» مُؤبَّدًا فقوله اردُد وسِواه فاعضدا

٢ - أنّ موسى ؛ لم يطلب من الله لأ الرُّؤية في الآخرة، وإنما طلب رؤية حاضرة: أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ يعني: الآن، فقال تعالى: قَالَ لَن تَرَىٰنِي يعني: لن تستطيع ذلك الآن.

ولا يمكن رؤية الله لأ في الدنيا؛ لضعف البشر في هذه الدار، كيف وقد قال النبيُّ ج عن ربِّه ـ : «...**حجابُه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[1][2].

***

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي موسى ا .

(٢) إتمامًا للفائدة ينظر: كلام شارح «الطحاوية» (١/ ٢٠٧ وما بعدها) في ردّه وتفنيده لأدلة القائلين بنفي الرؤية عند كلامه حول هذه الآية.

هارون ؛

مما يتعلق بهارون أخي موسى ـ إ ـ ما جاء في سورة مريم لما اتُّهم مريم من اتَّهمها من قومها وكان مما قالوا لها: ﴿يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[1].

الإشكال: ذكروا أنّ مريم أخت هارون، وهارون هو أخو موسى، وموسى هو ابنُ عمران، ومريم هي ابنة عمران، فهل يكون موسى وهارون ومريم إخوة؟

الصواب: أنّ موسى وهارون إ أخوان، وأما مريم ' فليست أختًا لهما.

إذن؛ كيف يُخرَّج قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ﴾؟

ذكروا عدّة تخاريج:

١- أنّ مريم كانت من نسل هارون فنُسِبت إليه، كما يُقال للقُرَشي: يا أخا قريش.

٢- أنها نُسِبت إلى رجُل صالح في قومها اسمه هارون، أي: أخت هارون في العبادة والصَّلاح.

٣- قيل: إنهم ذكروا ذلك من باب الشماتة بها فشبَّهوها برجُل فاجر اسمه هارون.

(١) مريم: ٢٨.

٤- وهو الصواب: ما جاء في «صحيح مسلم»: أنّ المغيرة بن شُعبة ا لما سأله وفدُ نَجران: في القرآن عندكم: يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ وكم بين مريم وموسى؟! فسأل المغيرةُ النبيَّ ج فقال ج: «**إنهم كانوا يُسمّون بأسماء أنبيائهم وبالصالحين فيهم**».

فعلى هذا يكون لمريم أخٌ اسمه هارون غير النبيّ هارون ؛ ، ومما يؤيِّد هذا أنّ بين عصر موسى وهارون وعصر مريم وابنها عيسى ـ لإ ـ عصورًا كثيرةً كما أشار إلى ذلك وفدُ نجران في سؤالهم.

***

شعيب ؛

من الفوائد والمسائل في سيرته ؛ :

المسألة الأولى:

كان بعض السلف يُسمِّيه «خطيب الأنبياء» لفصاحته وبلاغته وقوَّة منطِقه ؛ ، وقد ورد في هذا حديثٌ عن النبيِّ ج أنه ذكر شعيبًا ؛ فقال: «**ذاك خطيب الأنبياء**»[(١)].

ولكن هذا الحديث في إسناده ضعفٌ شديدٌ فلا يصحّ.

المسألة الثانية:

اختلف أهل العلم هل أُرسِل شعيبٌ إلى أمَّة واحدة أم إلى أمَّتين؟

فمنهم من قال: إنه أُرسل إلى أمة واحدة.

ومنهم من قال: إنه أُرسِل إلى أمَّتين؛ الأولى: أصحاب مدين، والثانية: أصحاب الأيكة.

واستدلّ هؤلاء بأدلة ثلاثة:

١- ما رواه ابنُ عساكر مرفوعًا إلى النبيِّ ج أنه قال: «**إنّ قوم مدين وأصحاب الأيكة أمَّتان بعث الله إليهما شعيبًا**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٦٨).

(٢) ذكره ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٣٦١) وقال بعد سياقه: «وهذا غريب وفي رفعه نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا».

٢- أنّ الله تعالى قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[(١)]. فذكر شعيبًا بصلة الأخوة لمدين ولم يذكر الأخوة لأصحاب الأيكة، فقال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[(٢)]. فهذان يدلان على أنّ شعيبًا ؛ تربطه صلة قرابة ورحم بمدين وليس كذلك في أصحاب الأيكة.

٣- أنّ الله لأ ذكر أنه عذّب أصحابَ الأيكة بيوم الظُّلة، وعذّب مدين بالرَّجفة والصَّيحة.

لكن ضعَّف قومٌ من أهل العلم هذا القول وقالوا: الصواب أنّ الله لأ أرسل شُعيبًا ؛ إلى أمَّة واحدة، وممَّن انتصر لهذا القول ابنُ كثير وقال: إنّ مدين وأصحاب الأيكة أمَّة واحدة، والتغاير في الاسم لا يدُلّ على التغاير في المسمَّى.

وهذا القول هو الصحيح، ومما يُبيِّن رُجحانَه وصحَّتَه ما يأتي:

١- أنّ الحديث الذي احتجُّوا به ـ وهو: «**إنّ أصحاب مدين والأيكة أمَّتان...**» ـ عند ابن عساكر في إسناده ضعفٌ شديد.

٢- أما الدليل الثاني: بأنّ الله لأ ذكر قَرابة شعيبٍ ؛ لمدين ولم يذكُرها مع أصحاب الأيكة، فقال ابن كثير: وهذا من البلاغة في القرآن الكريم، فلما ذكر أصحاب الأيكة وعبادة الأيكة للصنم لم يُناسِب أن يذكر قَرابة الأخوة حتى لا تُوهم الاشتراك في ذلك، ولما ذكر القبيلة ذكر نسب الأخوة ليُبيِّن قرابته وغَيرتَه وشفقتَه عليهم.

---

(١) الأعراف: ٨٥.

(٢) الشعراء: ١٧٦-١٧٧.

٣- أما دليلهم الثالث: بأنّ الله ﻷ عذّب الأيكة بيوم الظلة وعذّب مدين بالرَّجفة والصيحة، قالوا: هذا من تنوُّع أساليب القرآن؛ يذكُر كل كلام فيما يناسبه.

وهناك دليلٌ يُؤكِّد أنّ مدين وأصحاب الأيكة أمَّة واحدة، وهو: أنّ الذنب الذي ذمَّهم الله ﻷ وعابهم به متَّحدٌ في الجميع، وهو التطفيف في الميزان والغشّ في الكيل.

المسألة الثالثة:

ورد في سورة القصص لما جاء موسى ؛ ماءَ مدين: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾[1]، قالوا: المراد بهذا الشيخ هو شُعيب ؛ .

والصواب: أنه ليس شعيبًا ؛ ، ومما يدل على ذلك:

١- لو كان المذكور هو شعيب ؛ لنصَّ الله ﻷ أو لأوشك أن ينُصَّ على اسمه بالنبوَّة وبشرف النبوَّة.

٢- أنّ شعيبًا ؛ قال لقومه: ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾[2]، ومن المعلوم أنّ قوم لوط كان هلاكهم في عهد إبراهيم ؛ ، وبين إبراهيم وموسى إ بَوْنٌ شاسع قدَّره بعضُ المفسِّرين بأربعمائة سنة.

٣- أنه لو كان هو شعيبًا فإنه لن يرضى أن يجعل موسى ؛ نبيَّ الله راعيًا

---

(١) القصص: ٢٨.

(٢) هود: ٨٩.

عنده، وأيضًا جميع ما ورد من الرِّوايات المرفوعة والموقوفة في أنّ المراد شعيب ؛ لا تصحّ، بل قد ذكر شيخ الإسلام[1] أنّ هذا القول من قول الجاهلين وأنه بالتواتر عند أهل الكتابين أنّ المذكور ليس شعيبًا ؛ [2].

***

(١) «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» (٣/ ٢٣٢).

(٢) للفائدة: انظر تفسير الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير الآية ٢٧ (٤/ ١٦) ط. دار المدني بجدة؛ لترى مزيدًا من الأدلة في تضعيف القول بأنّ شعيبًا هو والد المرأتين.

وانظر: «جامع الرسائل» لشيخ الإسلام (١/ ٦١).

داود ؛

قال الله لأ في سورة ص: وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ... الآيات[١]، وقد ذكر جمعٌ من المفسِّرين ـ ما بين مُقِرّ وساكت وما بين منكِر ـ أنّ داود ؛ اعتزل في محرابه وأمر حاجبَه أن يمنع كُلَّ داخِل عليه وأن لا يأذنَ لأحد بالدخول عليه، وأخذ يقرأ الزَّبور.

وكان في المحراب كُوّة طير مُذهّب فوقع على تلك الكوة، فلما رأى داود ذلك الطير أعجبه منظرُه فأراد أن يُمسِكه، فلما قام إليه طار ذلك الطير.

فقالت تلك الرِّواية الباطلة المكذوبة: وقعت عينُ داود ؛ على امرأة تغتسل فهواها ووقعت في نفسه، ثم سأل عنها فأُخبِر بأنها امرأة أحد القادة في جيشه، وأنّ داود ؛ أمَرَ أن يُقدَّم بين يدي التابوت، وكان من قُدِّم على التابوت لا يحلّ له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد.

المهم: أنّ هذا القائد نجا مرَّة، والمرة الثانية، وقُتِل في الثالثة، فتزوَّج داود امرأتَه.

ومنهم من يقول: إنّ داود ؛ عشق تلك المرأة فسمع أنه قد تقدّم لخطبتها رجُلٌ فتقدّم داود وقدّموه لأنه نبيّ، واستأثر بهذه المرأة على ما عنده من النِّساء التسع والتسعين، فأراد الله ـ كما تقول الرِّواية ـ أن يُعاتب ويُنبِّه داود على فعله فأرسل إليه الخصمين اللذين ذكرا قضيَّتَهما بمحضره ؛ ، وادَّعى أحدُهما ـ

---

(١) ص: ٢١-٢٤.

توريةً ـ أنّ عنده تسعًا وتسعين نعجةً وأنّ عند أخيه نعجةً واحدة فقضى داود لصاحب النعجة على أخيه الذي ظلمه بكثرة نِعاجه.

قالوا: فتذكر داود ؛ فعلتَه فاستغفر ربَّه وخرَّ راكعًا وأناب.

هذه الرِّواية باطلة من وجوه:

١- ليس لها زِمام ولا خِطام، ولم يثبُت فيها نقل.

٢- أنّ فيها نسبة الغِش والمنكَر والتجرُّؤ على المحارم وقتل الأنفُس بغير حقّ إلى أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

٣- أنّ فيها تحريفًا للكَلِم عن مواضعه، فالله لأ ذكر الخصمين وسمَّاهما خصمين؛ لأنّ بينهما خصومة، وهؤلاء جعلوا الخصمين جاءا من باب التورية، وهذا تغيير للكلِم عن مواضعه، وأيضًا جعلوا النعاج في مقابلة النساء وهذا أيضًا من تحريف الكلم، والأصل في الكلام أن يجرى على ظاهره.

فإذا كان ذلك كذلك وبطلت هذه الرِّواية فماذا يُقال في تفسير هذه الآية؟

قال بعضُهم: إنّ الخصمين عندما جاءا إلى داود ؛ ذكر أحدُهما حُجَّته فقال: إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ [(١)]، قالوا: ولما أراد الخصم الثاني أن يقول ما عنده قال داود ؛ : لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ... الآية[(٢)]، فلما حكم داود ؛ للأول بعد سماع حُجَّته وقبل سماع حُجَّة الثاني عاتبه الله لأ .

هكذا ذكر بعضُهم تخريجًا لهذه الآية، والله أعلم.

---

(١) ص: ٢٣.

(٢) ص: ٢٤.

ولم يرتضِ بعضُ أهل العلم ذلك التفسير فقال: إنّ الخصمين بينهما خُصومة كما ذكر الله ﻷ ، وداود ؛ قضى فيما ظهر له من الحقّ وذكر ذنبًا فعله فاستغفر ربَّه وخرَّ راكعًا وأناب، أو أنه طلب المغفرة من الله وعَدَّ أنّ كلّ ما أنعم الله ﻷ عليه لم يقُم ؛ بشُكره وأدائه حقَّ الأداء، فطلب من الله ﻷ المغفرة لتقصيره عن شكره ـ .

على كلّ حال؛ يهمّنا جميعًا أن نفهم أنّ القصة التي سبقت من صاحب الرجل قائد الجيش وامرأته أنها لا تليق برجُل من الصالحين فضلًا عن أن يكون نبيًّا من أنبياء الله ﻹ .

***

سليمان ؛

المسألة الأولى:

جاء في سورة « ص » قول الله تعالى: وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ... الآية[1].

ذكروا أيضًا خبرًا منكرًا في حقّ سليمان ؛ مفادُه: أنّ سليمان ؛ دخل الخلاء ذات مرَّة وخلع خاتمه وأعطاه الجرادة ـ لقب امرأة من نسائه ـ حتى يخرج من الخلاء، وكانت الجرادة هذه أحبَّ نسائه إليه، فجاء الشيطان متمثِّلًا بصورة سليمان ؛ فأخذ الخاتم ثم جلس على عرش سليمان وأظلّته الطير وجاءته جنودُه من الجنّ والإنس والطير، ثم بدأ يحكُم الناس! هكذا تقول الرِّواية.

فلاحظَ الناسُ تغيُّرًا في أحكام سليمان، فسألوا نساءه سِرًّا هل تُنكِرون شيئًا من سليمان؟

قالوا: نعم ـ انظر كيف شناعة الكذب على الأنبياء لإ ـ قالوا: إنه يأتينا ونحنُ حُيَّض ولا يغتسل من الجنابة ولم يكن يفعلُ ذلك قبل ذلك!!

فعلِمَ الشيطان أنّ أمرَه قد كُشِف، ثم ذهب فألقى الخاتم في البحر بعد أن وضع تحت كُرسي سليمان كُتبًا من كُتب السِّحر حتى يوهِم الناس أنّ سليمان ؛ كان يحكُم الناسَ بالسِّحر.

الشاهد: تقول هذه الرِّواية المختلَقة: إنّ سليمان ذهب يطوف بين الناس

---

(١) ص: ٣٤.

ويقول بأنه سليمان واستهبله الناس واستحقروه واستهجنوا كلامَه! حتى استأجره رجُلٌ صيَّاد!! فحمل سليمان ذات مرَّة السَّمك لصاحبه فأعطاه أجرةً له سمكةً واحدةً، فلما ذهب إلى بيته وشقّ بطن السَّمكة وجد الخاتم في بطن السَّمكة ثم لبِسَه ورجع إلى مُلكه!!

هذه الرِّواية أكاذيب، ولا إشكال في بُطلان السَّنَد، وأمَّا المتن فلو لم يكن فيه إلا اتِّهام أعراض الأنبياء لكان ذلك كافٍ في ردِّه، فكيف ومع ذلك ركاكة وتكلف في نسج الخبر وكيفية رجوع الخاتم إليه.

ذكروا أيضًا تفسيرًا آخر باطلًا لهذه الآية، وهو: أنّ سليمان ؛ وُلِد له ولدٌ فأراد أن يحجبه عن ملَك الموت!!

فقالوا: نُرسِله إلى تُخوم البحر، قالوا: يأتيه الموت.

قالوا: نرسله إلى الشرق، فقالوا: يأتيه الموت.

حتى قالوا: نضعُه بين السماء والأرض، قالوا: يأتيه الموت.

فالشاهد: أنّ ملَك الموت جاء سليمان وألقى على عرشه جسَدًا، فقال: إنّ هذه نفسٌ أُمِرتُ بقبضها فطُفتُ عليها حتى وجدتُها بين السَّماء والأرض!

هذه الرِّواية تُلحَق بأختها ولا تصحّ الروايتان.

ما التفسير الصحيح لهذه الآية؟

بعضُ أهل العلم يقول: التفسير الصحيح هو ما جاء في «صحيح البخاري» من أنّ سليمان ؛ قال: لأطوفنّ الليلةَ على تسعٍ وتسعينَ امرأةً تلدُ كلُّ امرأةٍ منهنّ غُلامًا يُجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبُه: قل إن شاء الله، فنسي فلم تلد إلا امرأةٌ جاءت بشقّ غلام.

فقال بعضُهم: هذا الشقّ هو الذي ذكره الله في السُّورة، والله أعلم بمُراده.

المسألة الثانية:

في سورة « ص » قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[1].

فقوله: ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ المراد بالخير هنا قالوا: الخيل، والعرب تُعاقب بين الرَّاء واللَّام فتقول: انهملت العين، وتقول: انهمرت العين.

وقوله: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ قالوا: المراد الصلاة، وتركَها ـ كما قال ابنُ كثير ـ نسيانًا، ومعاذَ الله أن يترُكَها عمدًا.

وقوله: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ قالوا: المراد هنا الشمس وليست الخيل.

المسألة الثالثة:

ما ذكره الله تعالى في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ ... ﴾ الآية[2].

جاء في وصف النملة أوصافٌ كثيرةٌ، وجاء ذِكر اسمها، ولنعلم جميعًا أنه لا يصحّ من ذلك شيءٌ لا من وصفها ولا من أسمائها، بل الأصل أنها نملةٌ أنطقها الله، وكما نعلم أنّ الله تعالى علَّم سليمان ؛ منطِق الطير كما ذكر الله لأ ذلك عنه.

---

(١) ص: ٣٠-٣٣.

(٢) النمل: ١٨.

المسألة الرابعة:

فائدة: ذكر ابنُ القيِّم في «مفتاح دار السَّعادة»[(١)] قال: في كلام النملة هذا:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[(٢)]

عشرة أنواع من أنواع الخطاب: فجاءت بالنِّداء، والتنبيه، والتسمية، والأمر، والنصّ، والتحذير، والتخصيص، والتفهيم، والعميم، والاعتذار.

فاشتملت نصيحتُها ـ مع الاختصار ـ على هذه الأنواع العشرة، ولذلك أعجبَ سليمانَ ؛ قولُها وتبسَّم ضاحكًا منه وسأل اللهَ لأ أن يوزِعَه شكرَ نعمته عليه لما سمع كلامَها.

ولتوضيح ذلك يُقال:

يَـٰٓ فيها النِّداء، أَيُّهَا فيها التنبيه، ٱلنَّمْلُ التسمية، ٱدْخُلُوا۟ الأمر، مَسَـٰكِنَكُمْ النصّ، لَا يَحْطِمَنَّكُمْ التحذير، سُلَيْمَـٰنُ التخصيص، وَجُنُودُهُۥ التفهيم، وَهُمْ التعميم، لَا يَشْعُرُونَ الاعتذار.

***

(١) (١/ ٢٤٣).

(٢) النمل: ١٨.

أيوب ؛

ذكر الله لأ في كتابه الكريم نبيَّه أيوب ؛ وما أصابه من الضرّ والبلاء، فقال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [1].

أما ما ذُكِر من المبالغة في وصف بلاء أيوب ؛ وأنه تناثرَ لحمُه وتقطّع جلدُه وأصبح الناسُ ينظُرون إليه شزرًا وأصبحوا ينفُرون من رائحته، حتى ذكرت بعضُ الرِّوايات الكاذبة أنه كان يُرمَى في أماكن قذِرة! وأنّ الملَك أخبره أنّ البيت سقط على أولاده فهلك أولادُه وزوجتُه وهلكت دوابُّه...

هذه كلها من أساطير بني إسرائيل، وكلّ هذه الأخبار لا تليق بمقام الأنبياء لإ .

يُقال: إنّ الله لأ ابتلى أيوب ؛ فوجده صابرًا وأثنى عليه، لكن كيف البلاء؟ لم يأتِ تفصيلُه، لكن ابتُلي ؛ ببلوى أذهب اللهُ أمرَها وأخبر أنّ نتيجة بلائه أنه خرج صابرًا وكان من جزاء الصَّبر ثناءُ الله ـ عليه وأنه آتاه أهلَه ومثلَهم معهم.

***

(١) الأنبياء: ٨٣-٨٤.

يونس ؛

جاء ذِكر يونس ؛ في عدّة مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ... الآية[١].

ذكروا أنّ يونس ؛ لما أرسله الله لأ إلى بلد يُسمَّى «نينوى» كان يونس ؛ يَعرِف شدّتهم ويعرف جفاءهم وغلظتَهم، فطلب من الملَك أن يُراجع ربَّه فيهم ـ هكذا تقول الرِّواية ـ فأعظمَ الملَك ذلك الأمر، فتسخّط يونس وذهب إلى البحر.

والرِّواية الأخرى تقول: إنّ يونس ؛ ذهب إليهم فلما عاندوه وكابروا عن استجابة دعوته دعا عليهم، فأُخبِر أنّ العذاب سيكون في اليوم الفلاني، فلما خرج وانتظر ذلك اليوم خرجوا تائبين فتسخّط من عدم نزوله وإحقاق العقوبة بهم فذهب إلى البحر.

هاتان الرِّوايتان مجملها وصف النبيّ بالتسخّط من قضاء الله وقدَره وعدم الرِّضا بأحكام الله! وهذا لا يليق بمقام النبوّة، ولا يليق بالعبد الصالح فكيف بمقام النبوة[٢]؟!

وقد قيل في مغاضبة يونس ؛ : إنها كانت مغاضبة لقومه لا لربِّه ـ ، وذكرَ المفسِّرون أنّ خروج يونس ؛ كان بدون إذن ربِّه لأ ، وظنّ ؛

(١) الأنبياء: ٨٧.

(٢) باختصار وتصرّف من: «تنزيه الأنبياء» (ص١١٥-١١٦).

أنّ الله لأ لن يُؤاخذَه على هذا الخروج بسبب تركه للقرية، وبهذا يتَّضح معنى قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[١]، وأنّ المراد به: لن نضيق عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[٢].

فائدة: جاء في سورة الصافات قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[٣]، قد يقول قائل: لماذا لم يُجزَم بالعدد؟

الجواب: المراد بقوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ أي: بل يزيدون، وهذا واردٌ في لغة العرب، والقرآن نزل بلُغتهم.

***

(١) الأنبياء: ٨٧.

(٢) الطلاق: ٧.

(٣) الصافات: ١٤٧.

عيسى ؛

قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[1]، وفي سورة المائدة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[2].

قد يقول قائل: في الآية الأولى: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ لماذا قدَّم الوفاة؟ ومن المسلَّمات أنّ عيسى ؛ لم يُقتَل ولم يُصلَب بل رفعه الله لأ .

المعنى: الواو هنا لا تُفيد الترتيب، بل تفيد مطلق الجمع أو مطلق التشريك.

وذهب بعضُ أهل العلم إلى أنّ المراد بالوفاة هنا: النوم، ففي الشرع تُطلَق الوفاة على النوم، كما في الحديث: «**إن تَوفَّيتَ نفسي فارحمها**»، وفي سورة الزُّمَر: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[3].

المراد: أنّ الوفاة تُطلَق على النوم، فيكون تفسير الآية: إني مُنيمُك ورافعُك إليّ، وهذا اختاره بعضُ المفسِّرين.

ومنهم من يقول: إنّ الواو لا تُفيد الترتيب، والمراد أنّ الله تعالى رفعه ثم ينزل إلى الأرض بوعد الله ليقتُل الدجَّال وليكسر الصَّليب، ثم يتوفّاه الله تعالى وفاةً حقيقيةً.

---

(١) آل عمران: ٥٥.

(٢) المائدة: ١١٧.

(٣) الزمر: ٤٢.

نبينا محمد ص

أذكر هنا بعضَ الفوائد والتنبيهات المتعلِّقة بنبيِّنا محمد عليه الصلاة والسلام، من ذلك:

المسألة الأولى:

نشرت بعضُ المجلَّات صورةَ خطاب من النبيِّ ج إلى هرَقل أو إلى المقوقس، ويزعُمون أنّ بعضَ وُجَهاء بعض الدول عندهم صورٌ من نسخة هذا الخطاب.

والواقع أنّ هذا أمرٌ يحتاج إلى إثبات، فالمسافة بعيدة أربعة عشر قرنًا.

ثم ما الذي يدُلّ على أنّ هذا الخطاب هو بعينه ذلك الخطاب، وقد أكل عليه الدهر وشرِب؟!

ثم كيف انتقل من ذلك المِلك إلى هؤلاء؟ المهمّ أنّ بعض أهل العلم ـ وأوّل من رأيت منهم عبدالحيّ الكتَّاني في كتاب «التراتيب الإدارية»[1] المسمَّى بـ«نظام الحكومة النبوية» ـ ذكر أنّ هذا الخطاب يُنشَر ما بين فَينةٍ وأخرى في بعض الصُّحف، والأصل بُطلانه وعدمُ صحَّته، بل نفى صحَّة هذا الخطاب بعضُ أهل العلم من نُزَلاء تلك البلاد التي يخرج فيها الخطاب بين فينة وأخرى[2].

---

(١) «التراتيب الإدارية» (١/ ١٦٦-١٦٧).

(٢) وهناك فتوى للّجنة الدائمة في عدم اعتبار هذا الكتاب، والإعراض عن اتخاذه أثرًا. انظر: «فتاوى اللجنة الدائمة» (٤/ ٢٩٨-٣٠١).

المسألة الثانية:

لفظا «طـه» و«يسٓ» حيث يتبادر إلى ذِهن كثيرين أنّ هذين اسمان من أسماء النبيّ ج، ومما قرَّروا به كلامَهم: أنّ سياق الخطاب يدُل على أنّ «طـه» اسمٌ من أسماء النبيّ ج، كما قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾[1]، فكأنّ هذا كلامٌ يتعلق بما قبله، وقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[2]، فكأنّ الضميرين يرجعان إلى اللفظين اللذين جعلوهما اسمين، وهما «طـه» و«يسٓ».

والصواب: أنّ «طـه» و«يسٓ» ليسا من أسماء النبيّ ج، وقد بالغ ابنُ القيّم في كتابه «تحفة المودود» في ردّ هذا وقال: وأما ما يذكُره العوام أن «يسٓ» و«طـه» من أسماء النبيّ ج فغير صحيح، ليس في ذلك حديثٌ صحيح ولا حسن ولا مرسَل ولا أُثِر عن صاحب، وإنما هذه الحروف مثل: «الٓمٓ» و«حمٓ» و«الٓر» ونحوها[3].

والصحيح أنّ «طـه» و«يسٓ» من الحروف المقطّعة مثل: «الٓمٓ» وغيرها، وممَّن اختار هذا القول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز : .

وقال بعضُهم: إنّ «طـه» كلمة معناها في لغة الحبشة: يا رجل.

وقال بعضُهم: طِءْ برِجلِك الأرض.

هذا مُجمَل ما قيل في كلمة «طـه».

والصواب أن يُقال: إنها من الحروف المقطّعة، والله تعالى أعلم بمرادها.

---

(١) طه: ١-٢.

(٢) يس: ١-٣.

(٣) «تحفة المودود» (ص١٢٧).

المسألة الثالثة:

جاء في سورة الضحى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[(١)] فما المراد بالضلال هنا؟

ذكر بعضُهم أقوالًا:

فمنهم من قال: وجدك ضالًّا عن المعيشة وطُرُق الكسب. وهذا قولٌ ضعيفٌ جدًّا.

ومنهم من قال: وجدك ضالًّا في طُرق أو مفازة من مفازات مُهلِكة. وهذا كالذي قبله.

ومنهم من قال: وجدك ضالًّا في قوم لا يعرفون قدرَك ولا منزلتك.

والصَّواب: أنّ هذه الآية تفسِّرُها آية الشورى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[(٣)]. فهداه الله ﻷ بالقرآن والوحي وأكرمه بالرِّسالة، وليست الغفلة: الوقوع في المحرَّمات والرَّذائل، حاشا وكلَّا.

المسألة الرابعة:

جاء في سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ...﴾ الآية[(٤)].

---

(١) الضحى: ٧.

(٢) الشورى: ٥٢.

(٣) يوسف: ٣.

(٤) الأحزاب: ٣٧.

ذكر بعضُ المفسِّرين سببًا شنيعًا عند هذه الآية فقال: إنّ النبيَّ ج ذهب إلى بيت زيد لحاجة فوجد بابَه مُشرَعًا، ووقع نظرُه إلى داخل البيت، فإذا امرأتُه زينب وقد تجلّلت... أو ما شاكلَ هذا.

المهمّ: أنه رآها في صورة وقعت في نفسه، فوقع بين زيد وبين امرأته خصومةٌ، فجاء زيدٌ إلى النبيِّ ج يشكو زينب ويشاورُه في طلاقها، فقالوا: إنّ النبيّ ج يَرغَب في زواج زينب ولكن كان لا يُريد أن يُشير على زيد بطلاقها وكان يتمنَّى أنّ زيدًا يُطلِّقُها، فعاتبه الله لأ وقال: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[1].

وهذا الخبر المختلَق من أعظم الكذب على رسول الله ج.

المراد بهذه الآية ـ وهو الصواب إن شاء الله ـ: أنّ عند الجاهلية عادةً، وهي: أنه من العار أن يتزوَّج السيِّد امرأةَ من تبنَّاه، فأراد الله لأ أن يُبطِل هذا الاعتقاد السائد، وأوحى إلى نبيِّه أنك تتزوّج بزينب امرأة زيد، فداخلَ النبيَّ ج شيءٌ مما سيستنكرُه عليه قومُه وضاق صدرُه مما سيكون من قومه، وهو ج بشرٌ يعتريه ما يعتري البشر من ضيقِ الصدر، كما قال الله تعالى عنه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾[2]، فاهتمَّ النبيُّ ج بهذا الأمر ليس بردّ أمر الله ـ حاشا وكلَّا ـ ولكن فيما سيترتّب عليه من أذيَّة وإنكار الناس له، فلما جاء زيدٌ يشتكي زينب علِمَ النبيُّ ج أنّ الموعد قد اقترب، فذكَّره الله لأ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[3].

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) الحجر: ٩٧.

(٣) الأحزاب: ٣٧.

المسألة الخامسة:

جاء في سورة القصص قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[1].

ومن المعلوم أنّ هذه الآية نزلت في أمرِ عمِّ النبيِّ ج لما مات على غير الإسلام، ولكن ذكر بعضُ المفسِّرين وبعضُ كتَّاب السِّيَر خبرًا في هذه الآية، وهو: أنّ العباس بن عبدالمطّلب كان مع النبيِّ ج لما حضرت أبا طالب الوفاةُ وكان النبيُّ ج حريصًا على إسلام عمِّه يقول له: «**يا عمّ، قلُ لا إله إلا الله، كلمةً أُحاجّ لكَ بها عند الله**».

الشاهد: أنّ أبا طالب مات على غير الإسلام، ولكن جاء في رواية هذا الخبر المشار إليه عن العباس أنه قال: يا ابن أخي، أبشِر فقد قال أخي الكلمةَ التي تَسُرُّك!

وهذه الرِّواية ضعيفةٌ ولا تصحّ لأوجُه:

١- أنّ في إسنادها مُبهَمين.

٢- أنها مُنكَرة لمخالفتِها ما وقع في الصحيح من أنه مات على ملّة عبدالمطّلب.

٣- أنّ العباس نفسه قال: يا رسول الله، ما أغنيتَ عن عمِّك أبا طالب وقد كان يُدافعُ عنك؟ فقال: «**إنه في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**». ولو كان عند العباس خبرٌ من أنه قال هذه الكلمة لما سأل هذا السؤال.

---

(١) القصص: ٥٦.

المسألة السادسة:

ورد في سورة الحجّ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[١].

ذكر جمهور المفسِّرين ـ ما بين منكِر وما بين مُقِرّ وساكت ـ عند هذه الآية أنّ سبب نزولها: أنّ النبيَّ ج كان يتلو سورة النجم، فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾[٢] ألقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرانيق العُلى وإنّ شفاعتَهنّ لتُرتَجى)، فقال الكفار: والله ما ذكرَ آلهتَنا بخير إلا اليوم، فلما سجد ج سجدوا معه.

هكذا جاء في كثيرٍ من التفاسير، وتُسمَّى هذه القصة «قصَّة الغرانيق»، وهي قصة باطلة لا تصحّ في مقام النبوَّة، بل ضعَّفها كثيرٌ من المفسِّرين وأهل العلم؛ لأنّ فيها منافاةً لعصمة الأنبياء في مقام التشريع، وأيضًا مخالفة لآيات من كتاب الله، كقوله لأ : ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ﴾[٣].

وإذا كان كذلك فيرِدُ سؤال: لِمَ سجدَ المشركون معه؟

وقبل ذلك ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾

قيل: إنّ التفسير الصحيح للآية أنّ التمنِّي يأتي بمعنيين:

١ – التلاوة: ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ أي: إذا تلا، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ

---

(١) الحج: ٥٢.

(٢) النجم: ١٩-٢٠.

(٣) الإسراء: ٧٣.

لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ [1]. وهذا صحيح في لغة العرب، كما قال الشاعر في حقّ عثمان ا :

تمنَّى كتابَ الله أوّلَ ليلة وآخرها لاقى حِمام المقادِرِ

يعني: قرأ كتابَ الله في أوّل الليل.

٢- التشهِّي: كأن يشتهي حصول شيء، تمنَّى أي: أحبّ ورغب. وهذا المعنى الثاني قريب، أي: ما تشهَّى نبيٌّ إسلامَ قومه أو تقبَّل قومَه إلا وقف الشيطان أمام هذه الأمنية بما يستطيع من قوة معنوية وحسِّية في دعم أعدائه وفي دعم خُصومه في الوقوف في وجهه، فكلما دعا النبيُّ قومَه ورغّبهم في الخير ألقى الشيطان العثرات والعراقيل الحسِّية والمعنوية لصدّ أولئك عن طريق الخير والرَّشاد.

على كلّ حال؛ لا يرِد البتّة أنّ الشيطان ألقى على لسان النبيّ ذلك.

قد يقول قائل: إنّ الحافظ ابن حجر ـ وهو أمير المؤمنين في الحديث وخاتمة الحفاظ في وقته ـ قد ارتضى أنّ لهذه القصَّة أصلًا، والقصة في جميع أسانيدها مراسيل، وكأنّ ابن حجر ـ لكثرة الطرق ـ قال: تدُل على أنّ للقصة أصلًا.

لكن ابن حجر لم يقُل: إنّ الرسول ج نطق بهاتين الجُملتين، لكن الشيطان ألقاها على الكفار فظنُّوا أنها من كلام الرسول عليه الصلاة والسلام.

وأما لِمَ سجد المشرِكون مع الرسول ج؟ فذكروا تعليلات:

منهم من قال: إنهم ظنُّوا أنّ ذِكْر آلهتهم التي يعبُدونها فيه مدح وثناءٌ لها فسجدوا تعظيمًا لآلهتهم.

ومنهم من قال: أصابتهم الرعدة والخشية والوجل من عظمة القرآن، فسجدوا مع النبيِّ ج.

---

(١) البقرة: ٧٨.

ومَّن ضعَّف القصة: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خُزَيمة.

ومَّن أنكرها: القاضي عياض، وأبو بكر بن العربي المالكي، وأبو منصور الماتريدي، والشوكاني، والآلوسي، وصدِّيق حسن خان، والعيني.

ومَّن صنَّف فيها من المعاصرين: الشيخ المحدِّث محمد ناصر الدِّين الألباني في كتاب سمَّاه «نصب المجانيق لنسف قصَّة الغرانيق».

***

المختلف في نبوتهم

هناك أناسٌ اختُلِف في نبوَّتهم، وهم: لقمان، تُبَّع، ذو القرنين، أصحاب الكهف، الخَضِر، ذو الكِفل.

١- لقمان:

القول الصحيح الفصل أنه ليس بنبيّ، ومما يدُل على ذلك:

١- أنّ القرآن لم ينُصَّ على نبوَّته، وليس في ثابت السنَّة ما يدُلّ على نبوَّته.

٢- أنّ في وصفه بإيتائه الحكمة ما يدُلّ على عدم نبوّته، فقد مدح الله لأ لقمان بالحكمة، ولو كان نبيًّا لنصَّ على صفة النبوة؛ لأنها أعلى مقامًا.

٣- أنّ الله لأ ذكر الأنبياء لإ ؛ تارةً ذكَرَ أسماءهم، وتارةً ذكرَ أخبارَهم مفرّقة، ولم يذكُر لقمان لا مع ذِكر المفرَّق ولا مع ذِكر أسمائهم مجموعة.

٤- أنه قد كثُر كلام المفسِّرين وكثُرت نقولاتُهم بأنّ لقمان كان رقيقًا، والأنبياء لإ تُبعَث في أعلى نسَب في قومها.

وأما ما ورد عن بعض أهل العلم في نبوته فيمكن أن يُقسم على قسمين:

منهم من يقال: اجتهاد منه، وخالف الصواب.

ومنهم من لم يَثبُت السند عنه.

ولعل أشهر من رُوي عنه القول بنبوَّته هو عكرمة مولى ابن عباس ب ، ولكن ذكروا أنّ الإسناد إلى عكرمة لا يصحّ، وذكروا أنّ في إسناده رجُلًا اسمه جابر بن يزيد الجعفي، وكان سفيان ينهى أصحابه وتلاميذه عن الرِّواية عنه.

٢- ذو القرنين وتبع:

اختُلِف فيهما، وقد ورد حديثٌ عند البيهقي والحاكم يفصل النِّزاع في هذه المسألة عند من صحَّح الحديث، ونصُّه:

قال ج: «**وما أدري ذا القرنين أنبيًّا كان أم لا؟**»[(١)].

وفي الحديث الآخر: «**لا تسُبُّوا تبَّعًا فإنه قد أسلم**»[(٢)].

فهذان الحديثان يدُلَّان على أنّ ذا القرنين وتُبَّعًا ليسا من الأنبياء.

أما من ضعَّف الحديثين فقد ذهب إلى القول بنبوَّة ذي القرنين، وممَّن نصر هذا القول الحافظ ابنُ حجر، وذكر أنّ ذا القرنين بما قصَّ الله علينا خبره يدُلّ ظاهر الخطاب على نبوَّته، لكن لعل الصحيح عدم نبوَّته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : : «... وأما ذو القرنين المذكور في القرآن فهو من أهل الإيمان والتوحيد، وقد اختُلِف في نبوَّته، والصحيح أنه لم يكن نبيًّا...»[(٣)].

٣- أصحاب الكهف:

فالصحيح الذي لا خلاف فيه أنهم ليسوا بأنبياء، بل قد نقل إمام الحرمين الإجماعَ على عدم نبوّتهم، وأنهم فتيةٌ آمنوا بربِّهم وزادهم الله هُدى... إلى آخر ما ذكر الله عنهم.

---

(١) انظر: «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٥١) حديث رقم (٢٢١٧).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في «الأوسط»، وابن عساكر في «تاريخه» من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن جابر عن سهل بن سعد ا .

وله شاهد من حديث ابن عباس وعائشة ي يتقوّى به، وصحَّحه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٥٤٨).

(٣) «الردّ على البكري» (ص٦٤).

وليس هناك وصفٌ لهم بالنبوة، بل لو كانوا أنبياء لخرجوا وبلّغوا دعوة الله ونصحوا وجاهدوا في سبيل الله.

٤- الخضــر:

فيه بعض المسائل:

١) نبوة الخضر:

اختُلِف في نبوّته، والصواب أنه من الأنبياء.

ومن الأدلة على ذلك: قوله لموسى ؛ : وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى [(١)]، فدلّ هذا على أنه فعله بأمر الله لأ .

ومن الأدلة أيضًا: أنّ موسى كليم الله طلب من الخضر أن يأذنَ له باتِّباعه: قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا [(٢)]. وهذا الطلب من النبيّ لشخص آخر لا يكون إلا في مقام النبوَّة كمثله سواء.

أيضًا: أنّ الله تعالى أخبر موسى ؛ بأنّ الخضر أعلم منه، فشدّ موسى ؛ رَحْلَه إلى الخضر حتى يستفيد مما علّمه الله لأ .

٢) حياة الخضر:

اختُلف في موته وطال الكلام فيه، حتى قال بعضُ أئمة السنَّة: لن يكون بيننا وبين الصوفية وفاقٌ أو بدءُ وفاق حتى يُقِرُّوا بأنّ الخضر مات؛ لأنهم بَنَوا قواعدهم ـ أو أكثر قواعدهم ـ على اعتقاد حياته، ورووا أباطيل كلّها تحكي أنّ الخضر يأتيهم ويُجالسهم ويُفطِر معهم إن كانوا صيامًا ويقوم معهم إن كانوا

---

(١) الكهف: ٨٢.

(٢) الكهف: ٦٦.

مُصلِّين! وغير ذلك مما تمجّه العقول.

وقد نقل ابنُ القيّم في «المنار المنيف» عن ابن الجوزي أنّ القرآن والسنّة والإجماع والعقل كل هذه تدُلّ على أنّ الخضر مات.

أما دليل موته من القرآن: فقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[1]. هذا تصريحٌ أنه لم يخلد بشر.

وأما من السنّة: فما رواه البخاري وغيرُه أنّ النبيَّ ج خرج على أصحابه في السنة العاشرة وقال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه بعد مائة سنة لا يبقى على ظهر الأرض ممَّن هو عليها أحد**».

ومن الإجماع: فقد نقل غيرُ واحدٍ إجماعَ المحقِّقين من أهل العلم على أنّ الخضر مات، وممَّن نقل ذلك: الإمام البخاري، والخطابي، والحربي، حتى قال الحربي: ما أرى أنّ الذي ألقى قضية حياة الخضر بين الناس إلا شيطانًا.

وأما من العقل: فقد ساق ابنُ الجوزي عشرة أدلة على موته نقلها ابنُ القيّم، من ضمنها: أنه لو كان حيًّا لوجب عليه اتِّباع النبيِّ محمد ج، بل أن يأتي فيجاهد تحت رايته ويعطيه البيعة، وأن يجاهد في سراياه وفي جُيوشه، فدلّ هذا على أنه لم يكن موجودًا آنذاك.

ثم ساق ابنُ القيّم تسعة أدلة في «المنار المنيف».

*** تنبيه:**

هناك مسألة تتعلق بالخضر لا بُدّ أن نعلمَها حتى لا يُشغِّب بها علينا بعضُ أهل البدع، ففي «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»[2] فتوى لشيخ الإسلام سُئل

---

(١) الأنبياء: ٣٤.

(٢) (٤/ ٣٣٨-٣٣٩).

فيها عن الخضر وإلياس فجاء في جوابها أنّ الخضر حيٌّ، وهذا مُشكِل إشكالًا كبيرًا.

هذه الفتيا موجودة ضمن المطبوع بين أيدينا الذي جمعه الشيخ ابن قاسم ، ومن أمانته أنه لما أثبت هذه الفتيا علّق عليها في الهامش قال: هكذا وجدتُ هذا الجواب.

وهذا من ورَع الشيخ عبدالرحمن، فهو يعلمُ أنّ هذا القولَ باطلٌ ولكن من باب براءة الذمَّة أثبت الجواب وذكر التعليق.

ويُجاب عن هذه المسألة بثلاث إجابات:

١- ربما يكون هذا القول قولًا قديمًا لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٢- ربما يكون هذا الجواب مدسوسًا على شيخ الإسلام ابن تيمية.

٣- ربما اختلط على الناقل أو على الجامع فأدخل جوابًا وكلامًا لغير شيخ الإسلام ظانًّا أنه من كلام شيخ الإسلام.

ومما يؤكّد هذه النقطة الأخيرة: أنّ هناك جوابًا لابن الصلاح عن حياة الخضر يُشبه ما ذُكِر في «مجموع الفتاوى» إلى حدٍّ كبير؛ مما يدُلّ على أنّ هذا الجواب أقرب ما يكون لابن الصلاح ، لكنه تداخل على الجامع أو على الطابع فأقحمه ضمن كلام شيخ الإسلام .

قد يقول قائل: لمَ لا يُقال بأنّ هذا الكلام قولٌ متأخِّر لشيخ الإسلام، ما المانع؟

فيُردّ على هذا:

١- بأنّ كلام شيخ الإسلام في مصنَّفاته يُبطِل هذا الأمر.

٢- أنّ تلاميذَه الجهابذة الحفاظ ـ كابن كثير والذهبي وابن القيّم ـ قد أفاضوا وأجادوا وأسهبوا في إبطال حياة الخضر، بل كانوا يستشهِدون ببعض كلام شيخ الإسلام، ولو كانت هذه الفتيا عندهم ـ ولو من طرف خفيّ ـ لصرَّحوا بذِكرِها، فدلّ على أنّ شيخَ الإسلام أبعدُ من هذه الفتيا.

٣) تسمية الخضر:

قيل في سبب تسميته بهذا الاسم عدّة أقوال، منها:

١- أنه سُمِّي بهذا الاسم لأنه إذا صلّى في مكان اخضرَّ ما حوله. وهذا من قول مجاهد.

٢- قال الخطابي: إنما سُمي الخضر خضرًا لحُسنِه وإشراق وجهه.

٣- وهو الصحيح: ما رواه البخاري عن النبيِّ ج: «**أنّ الخضر جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتزّ من تحته خضراء**».

٥- ذو الكفل:

اختلف أهلُ العلم في أمره على ثلاثة أقوال:

فمنهم من قال بنبوَّته، كابن كثير رحمه الله تعالى.

ومنهم من قال بعدم نبوَّته، كمجاهد رحمه الله تعالى، وذكر أصحابُ هذا القول أنّ ذا الكفل كان رجُلًا صالحًا وحَكَمًا مقسِطًا عادلًا.

وتوقّف في أمره آخرون، كابن جرير رحمه الله تعالى[١].

ولعل الصواب ـ والله تعالى أعلم ـ القول بنبوَّته.

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١/ ٢٢٥).

قال ابنُ كثير رحمه الله تعالى: «فالظاهر من ذِكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونًا مع هؤلاء السادة الأنبياء[1] أنه نبيٌّ عليه من ربِّه الصلاة والسلام، وهذا هو المشهور»[2].

*** تنبيهان:**

الأول: روى ابنُ أبي حاتم وابنُ جرير عن أبي موسى الأشعري ا أنّ ذا الكفل كان رجُلًا صالحًا.

وهذا لا يصحّ عن أبي موسى ا، ففي إسناد ابن أبي حاتم:

سعيد بن بشير، وهو ضعيف.

وقتادة، وهو مدلِّس.

وكنانة بن الأخنس، لم أعثُر على ترجمته.

وأما إسناد ابن جرير فذكر ابنُ كثير أنه منقطع.

الثاني: ما رواه الإمام أحمد وغيرُه عن عبدالله بن عمر ب قال: سمعتُ من رسول الله ج حديثًا لو لم أسمعه إلا مرَّةً أو مرَّتين ـ حتى عدّ سبع مرار ـ ولكن سمعتُه أكثر من ذلك، قال: «**كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورَّع من ذنب عمِله، فأتته امرأةٌ فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلما قعد منها مقعدَ الرَّجُل من امرأته أرعدَت وبكت، فقال لها: ما يُبكيكِ؟ أكرهتُك؟ قالت: لا، ولكن هذا**

---

(١) يشير إلى الآيات الكريمات: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥-٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٥-٤٨].

(٢) «البداية والنهاية» (١/ ٢٢٥).

عملٌ لم أعمله قطّ وإنما حملتني عليه الحاجة. قال: فتفعلين هذا ولم تفعليه قط؟! ثم نزل فقال: اذهبي بالدنانير لك. ثم قال: والله لا يعصي اللهَ الكفلُ أبدًا، فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابه: قد غفر اللهُ للكفل».

رواه الترمذي من حديث الأعمش به، وقال: حسن.

وذكر أنّ بعضَهم رواه فوقفه على ابن عمر، فهو حديثٌ غريبٌ جدًّا، وفي إسناده نظر؛ فإنّ سعدًا هذا قال أبو حاتم: لا أعرفه إلا بحديث واحد، ووثّقه ابنُ حبان، ولم يروِ عنه سوى عبدالله بن عبدالله الرَّازي هذا، فالله أعلم[(١)].

فالحديث لا يصحّ مرفوعًا، ثم لو صحّ فالذي تتعلق به القصة هو الكفل، وهو غير ذي الكفل، والله تعالى أعلم.

***

(١) «البداية والنهاية» (١/ ٢٢٦).

* تنبيه: ذكر الشيخ أحمد شاكر : أنّ الحافظ ابن كثير : عزا هذا الحديث إلى الترمذي، بينما ذكر في «التفسير» أنه لم يخرجه أحدٌ من أصحاب الكتب الستة.

انظر: تحقيق «المسند» لأحمد شاكر (٦/ ٣٣٤) حديث رقم (٤٧٤٧)، وقد صحَّح الشيخ أحمد شاكر : هذا الحديث.

خاتمة[١]
في التعريف ببعض المصنفات في أخبار الأنبياء لإ وسيرهم

في ختام هذه الرِّسالة رأيتُ أن أُذيِّلها بتعريف مختصَر لبعض الكتب المصنَّفة في هذا الموضوع؛ لأمرين:

أحدهما: إفادة القارئ ومن أحبَّ التوسُّع والتزوُّد في هذا الموضوع بتقريب الكتب المؤلَّفة فيه وعرضها بوجه موجَز.

الثاني: تمييز الطيِّب من الخبيث، وهذا أمرٌ مهمّ خاصةً فيما يتعلق بالكتب والمصنَّفات، إذ قد يغترّ بعض متابعي الكتب بنضارة منظر الكتاب، أو جودة طباعته وتجليده، أو أسلوب كاتبه وبلاغته، بينما يحتوي ذلك الكتاب على السمّ الزعاف الذي ينفُثه في عقل قارئه فيؤثّر في أفكاره ومبادئه، بل ربما أثّر في دينه، ولا حول ولا قوّة إلا بالله، لذا كان من مهام طلاب العلم تحذير الناس من الكتب والمنشورات الفاسدة والمضلّلة.

فمن الكتب المؤلَّفة في قصص الأنبياء وأخبارهم:

١ - «**قصص الأنبياء**» للحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

وهذا الكتاب مطبوعٌ أكثر من مرَّة، وهو مستلّ من كتابه الكبير «البداية والنهاية».

---

(١) هذه الخاتمة كان للشيخ خالد الباتلي ـ أثابه الله تعالى ـ الفضل بعد الله لأ في جمع أكثرها وصياغتها.

يبتدئ الكتاب بباب ما ورد في خلق آدم ؛ ، ثم يسير في قصص الأنبياء لإ حتى يختم بأخبار عيسى ؛ .

والمصنِّف إمامٌ حافظ محدِّث يعتني بذِكر الآيات والأحاديث المتعلقة بالأخبار التي يذكرُها، وكتابُه هذا من الكتُب المفيدة التي انتفع بها الناس قديمًا في هذا الباب، خاصةً إذا ضمّ إلى ذلك ما كتبه المصنِّف : من التحقيقات والتعليقات في تفسيره المشهور عند الآيات المتعلقة بقصص الأنبياء لإ .

٢- «**عرائس المجالس في قصص الأنبياء**» لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي (٤٢٧هـ):

كتابٌ يشتمل على قصص الأنبياء المذكورة في القرآن بالشرح والبيان، وقد طُبع غير مرَّة، وفيه كثيرٌ من الإسرائيليات والأخبار الواهيات والغرائب، وفيه أيضًا بلايا ورزايا[1].

٣- «**بدائع الزُّهور في وقائع الدُّهور**» لمحمد بن أحمد بن إياس.

كتابٌ فيه من الفوائد الغرائب، ومن النُّقول العجائب، ابتدأ فيه مصنِّفُه بذِكر السماوات والأرضين وما كان قبل الوُجود، وإظهار العالَم الموجود من مبدأ خلق آدم ؛ وما جاء من نسله من الأنبياء الكرام إلى نبيِّنا محمد ـ عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ.

ومن مصادره تُعرف قيمتُه، فقد اعتمد على الثعلبي والسدي والواقدي، وكان صاحبُه فيه حاطبَ ليل وجارف سيل، وقد حذّر منه العلماء وبيَّنوا أنّ الغالب عليه الأحاديث الموضوعة، وقد حذّرتْ من هذا الكتاب اللجنة الدائمة

(١) «كتب حذّر منها العلماء» لمشهور بن حسن آل سلمان (٢/ ٢٠).

للبحوث العلمية والإفتاء فقالت جوابًا عن السؤال الثالث من الفتوى رقم (٧٨٢) ما نصُّه:

«... وأن يتجنب القراءة من الكتب التي ليست مأمونةً، مثل كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، فإنّ مؤلِّفَه وأمثالَه هم الذين يذكُرون مثل هذه الافتراءات، والله أعلم»[1].

٤- «**تنزيه الأنبياء عمَّا نَسبَ إليهم حُثالةُ الأغبياء**» تأليف: أبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن حميد، طبع الكتاب عام ١٤١١هـ بتحقيق: محمد رضوان الداية.

يقول المحقق في مقدمته التعريفية بالكتاب: «قسم المؤلف كتابه «تنزيه الأنبياء عمَّا نسب إليهم حثالة الأغبياء» إلى مقدمة عامّة وعدد من الفصول، وربما تخلل الفصل استطرادٌ له علاقة بموضوع الكتاب، وكلّ فصل يتعلق بقصة أو خبر لنبيّ من أنبياء الله تعالى.

أما المقدمة فهي بسط لسبب ـ أو أسباب ـ تأليف الكتاب، وبيان لمعنى نزاهة الأنبياء، وتعريف بالثغرات العقدية أو غيرها التي دفعت أولئك الأشخاص إلى أن يقعوا في الأخطاء الفظيعة في حق الأنبياء الكرام.

وأما الفصول فإنها تتابعت لتُعالج أحوال بعض الأنبياء ممَّن كانوا غرضًا للكلام، ولم يكن المؤلف يغادر الفصل قبل أن يستوثق من إزالة كلِّ وهم وكلّ لَبس وبعد مناقشة علمية عقلية متأنية دقيقة» اهـ.

والكتاب ليس موثقًا في قصص الأنبياء واستقصاء أخبارهم، وإنما هو يعالج

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢١-٢٢) باختصار.

ويُناقش بعض المسائل التي زلَّ فيها بعضُ الناس في مقام الأنبياء ﻷ في بعض الحوادث التي وقعت لهم.

على سبيل المثال: قصة داود ؛ مع زوج أوريا، وقصة سليمان ؛ مع زوجه وما كان من قصة الجسد والكرسي، وقصة يوسف ؛ مع امرأة العزيز في الهمِّ والمراودة، وقصَّة نبيِّنا محمد ج مع زيد بن حارثة وزينب بنت جحش، ونحو ذلك.

٥- «**قصص الأنبياء... فصول في ذِكر ما قصَّ اللهُ علينا في كتابه من أخبار الأنبياء مع أقوامهم**» للشيخ: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به وعلق عليه: أشرف عبدالمقصود.

طُبع هذا الكتاب في مجلّد واحد، ويقع في حدود (٢٢٠) صفحة، وهو مُستلٌّ من كتاب الشيخ «تيسير الكريم الرَّحمن» الذي تميّز بميزات كثيرة ذكر تلميذُه فضيلة الشيخ العلَّامة محمد بن صالح العثيمين منها: «سهولة العبارة ووضوحها، وتجنّب الحشو والتطويل، وتجنّب ذِكر الخلاف، والسير على منهج السلف في آيات الصِّفات، ودقّة الاستنباط، وهو كتاب تفسير وتربية».

ثم قال الشيخ ابن عثيمين: «ومن أجْلِ هذا أُشير على كلّ مُريد لاقتناء كتب التفسير أن لا تخلو مكتبتُه من هذا التفسير القيِّم».

وافتتح هذا الكتاب «قصص الأنبياء...» بمقدّمة للمصنِّف في منافع القصص، جاء فيه: «.. سوف آتي بهذه القصص وأجمع القصة في موضع واحد، وأحرص على ما دلّت عليه ألفاظ الكتاب من سياقها من أولها إلى آخرها، وأُتبع كلَّ قصَّة بما يفتح اللهُ به من الفوائد الأصولية والفروعية والأخلاق والآداب والمواضيع المتنوِّعة».

ثم ابتدأ بقصَّة آدم ؛ حتى ختمه بقصَّة نبيِّنا محمد ج.

ويتميَّز هذا الكتاب بالعناية بذِكر الفوائد والمنافع، فهو كتابٌ أصيل لمن كان مُهتمًّا باستنباط الدروس والعبر من قصص الأنبياء لإ .

٦- «**قصص الأنبياء**» تأليف: عبدالوهاب النجار.

طُبع هذا الكتاب أكثر من مرَّة، وابتدأ بقصة آدم ؛ إلى عيسى ؛ ، والمؤلف يُبجّل كتابه وينقد بشدّة على من انتقد كتابَه، ومن العجيب أنه يصف كتابَه ـ في المقدّمة ـ بأنه فتنةٌ يُضلّ الله به كثيرًا ويهدي به كثيرًا وما يُضلّ به إلا الفاسقين.

والمؤلف قويّ العبارة في أسلوبه ومناقشته، ولكنه بنى كتابه على قواعد ذَكرها في المقدمة لا تسير مع النهج السليم والصراط المستقيم، ومن ذلك:

❋ أنّ العقل رُكن المعتقَدات الأول، فما أوجبه كان واجبًا وما أحاله كان مُحالًا، وما أجازه كان جائزًا.

❋ إذا عارضَ الخبر العقل وجب تأويل الخبر بما يُزيل هذا التعارض.

❋ لا يرى ثبوت الأمور الاعتقادية والمعجزات بخبر الآحاد.

٧- «**معراج ابن عباس ب** ».

هذا الكتاب مكذوبٌ على ابن عباس ب ، وقد اشتمل على كثيرٍ من الأحاديث المكذوبة والأباطيل والترَّهات التي لم تُروَ عن رسول الله ج، وابنُ عباس ب بريء منه؛ لما حواه من الكذب، فمثل هذا الكتاب غيرُ صحيح السند، وغيرُ ثابت النِّسبة إلى من نُسب إليه[1].

(١) انظر: «كتب حذّر منها العلماء» لمشهور بن حسن آل سلمان (٢/ ٢٥٧).

٨- «**الإسراء والمعراج**» لأحمد شلبي.

من منشورات مكتبة النهضة بالقاهرة، وهو الجزء الثالث مما سمَّاه بـ«المكتبة الإسلامية المصورة لكلّ الأعمار».

زعم المؤلف فيه أنّ كتابه هذا عبارة عن دراسة تصحيح للقضاء على الشطحات والخيال في الإسراء والمعراج!!

وفيه ـ على الحقّ والحقيقة ـ تخبيطٌ وتَقَوُّل على رسول الله ج وإنكارٌ لما ثبت عنه في الإسراء والمعراج ما لا مزيد عليه في الضلال والإضلال، وفيه تقرير رأي الجهمية في إنكار علوِّ الله على خلقه واستوائه على عرشه الذي هو فوق جميع المخلوقات، فهو في الحقيقة دراسة إفساد لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالإسراء والمعراج وإثبات علوّ الله على خلقه[(١)].

٩- «**حياة محمد ج**» تأليف: محمد حسين هيكل.

قال عنه الشيخ مشهور بن حسن: «كُتِب هذا الكتاب في مرحلة حرِجة ـ إن لم نقل: كالحِة ـ من مراحل الفكر العربي والإسلامي في بلاد العروبة، وانتشر كما يبدو من كثرة طبعاته انتشارًا واسعًا.

وهذا الكتاب بكلمة موجَزة: قابِلٌ للنقض سطرًا فسطرًا»[(٢)].

ثم سردَ شيئًا من أخطائه وشطحاته، ثم قال: «والخلاصة: .. هذا الكتاب مسموم، إذ قام على أساسٍ مُنهار، إذ صرّح مؤلِّفُه في مقدمته: «إنني لم آخذ بما سجَّلته كتب السيرة والحديث؛ لأنني فضَّلتُ أن أُجري هذا البحث على الطريقة العلمية»!

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٤٩).

(٢) «كُتب حذّر منها العلماء» (١/ ٣٠٤).

فاعتمد فيه على العقل وكاد يُنكِر صلة الوحي بالنبيّ ج... فالكتاب قائمٌ على ترويج صفة «العبقرية» و«العظمة» و«القيادة» وما شاكلها للنبيِّ ج، تعويضًا عن صفات: النبوَّة، والوحي، والرِّسالة»[(١)].

١٠- «**رجالٌ حول الرسول**» لخالد محمد خالد.

هذا الكتاب أورده الشيخ مشهور بن حسن في كتابه «كتب حذّر منها العلماء»[(٢)] وقال عنه:

«كتابٌ عن حياة الصحابة رضوان الله عليهم، وأسلوبه شيِّق، وله انتشار واسع، وكان له أثرٌ حسنٌ على المثقّفين العصريِّين، ولكن لي عليه ملاحظةٌ مهمَّة ومن أجلها أوردتُ هذا الكتاب هنا، وهي: أنّ مؤلِّفَه كتبه بأسلوب القصة ـ وليس في هذا ضير ـ ولكن لكي يُشوِّق القارئ ويجعلَه يُتابِع خبر هذا الصحابي أو ذاك كان يصنع «عُقدةً» في القصة، وحينئذ يُرتِّب أحداث القصة ترتيبًا من عنده ويُدخِل عليها إضافات حتى تبقى على نسج واحد دون خلل فيها.

وهذه الإضافات لا وجود لها في كتاب التراجم، فضلًا عن أنّ نهج المؤلِّف فيه الجمع والتقميش وليس البحث والتفتيش، ولذا وقع فيه أخبارٌ غير صحيحة.

هذه كلمة سريعة عن هذا الكتاب، ولي رسالة مفرَدة في بعض ما في هذا الكتاب من العيوب والآفات، يسَّر اللهُ نشرَها».

١١- «**النبوة والأنبياء**» تأليف: محمد بن علي الصابوني.

يقع هذا الكتاب في (٣٢٠) صفحةً، وله أكثر من طبعة، تحدّث في أوَّله عن

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٦١).
(٢) (١/ ٣٦٨).

النبوّة ومعناها وبعض خصائص الأنبياء، ثم تحدّث عن مزايا دعوة الأنبياء، ثم أفاض في عصمة الأنبياء وبعض الشُّبُهات في ذلك، ثم بيَّن الحكمة من قصص الأنبياء وفوائدها وسرّ تكرار القصص في القرآن الكريم، ثم شرع في أخبار الأنبياء مبتدئًا بآدم ؛ ، ثم أولي العزم من الرُّسل لإ ، ثم سائر الرُّسل عليهم الصلاة والسلام.

والكتاب يتميَّز بترتيبه وسهولة أسلوبه، ولكن المؤلف وقع في بعض الأخطاء التي مردُّها عدم التحقيق في بعض المسائل، وقد تعقّبه الدكتور محمد محمود أبو رحيّم وجمع ذلك في كُتيّب مطبوع بعنوان: «نظرات في كتاب النبوة والأنبياء».

يقول في مقدّمته: «بعد قراءة كتاب «النبوة والأنبياء» لاحظتُ أنّ المؤلّف لم يلتزم بما أخذ على نفسه من: «الجدّة والدقة والتحقيق»، فساق من الإسرائيليات ما تقشعرّ منه الأبدان، ومن الأخبار الواهية في ترجيح ما لا يصلح حالُه إلا بصريح القرآن أو الحديث الصحيح، وفصَّل ما أجمله القرآن ولم تُبيِّنه السنة الصحيحة.

بل إنّ كثيرًا من المسائل التي ناقشتُه فيها لم يذكر مرجعًا لها أو دليلًا يوثّق مذهبه فيها، وكان يبتر رأي المؤرِّخين فيما ينقُله عنهم، فوقع في تناقضات سببُها عدم الدقّة».

سبحان ربِّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلامٌ على المرسَلين، والحمد لله ربِّ العالَمين، وصلى الله وسلَّم وباركَ على نبيِّنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

***

المحتويات

~